مسرحيات عالمية

ليونس ولينا
فويسك

جورج بشنر

ترجمة وتقديم

د. عبد الغفار مكاوى

المسرح العالمي

١٠

مسرحيات عالمية

نصف شهرية

ليونس ولينا
ڤويتسك

تأليف :
چورچ بشنر

ترجمة وتقديم :
د. عبد الغفار مكاوى

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والإرشاد القومى

١٥ يوليه ١٩٦٥

* ليونس ولينا
Leonce und Lena
* فويسك
Woyzeck

تأليف :
جورج بشنر
Georg Büchner

ترجمة وتقديم :
د. عبد الغفار مكاوى

مقدمة

بقلم المترجم

جورج بشنر
(١٨١٣ – ١٨٣٧)

كاتب وثائر وطبيب . عبر عن صرخة الخليقة المعذبة ضد عبث الوجود وفنائه . هذه الصرخة التى لانزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم .

ولد فى دارمشتات (مقاطعة هيسن فى ألمانيا) . كان أبوه ، الذى ينحدر هو نفسه من سلالة أطباء ترجع الى قرون عديدة ، طبيبا ريفيا عمل فترة فى حرس نابليون فتعلم كيف يقدر كل ماهو فرنسى ، وكانت أمه التقية تجل الشاعر الكبير شيللر فوق كل شىء . درس فى المدرسة الثانوية فى دار مشتات ، وعرف بميله الى الفزياء والرياضة ، كما درس الطب فى شتر اسبورج وتلقن الافكار الثورية عن الحريه والتمرد على الطغيان فى بلاده ، وتعرف على خطيبته ميناجله التى كتب اليها رسائل من أجمل ماعرف الأدب الألمانى . أكمل دراسة الطب فى جيسن (١٨٣٣) التى أقام فيها فى ظل حكم بوليسى متعنت جعله يعانى أول أزمات حياته ، ويشارك مشاركة ايجابية فى الثورة ، فيؤلف بيانا يحرض فيه الفلاحين على الثورة على مستغليهم تحت عنوان « رسول هسن » (١٨٣٤) .

انه يعود فى أوائل عام ١٨٣٤ الى مدينة جيسن ليواصل دراسة الطب ،

بعد أن أمضى فى بيت أبويه فى دارمشتات فترة استشفاء من التهاب فى المخ أصابه نتيجة أزمات نفسية متكررة . كانت الظروف السياسية فى بلده لاتحتمل . وهاهو يكتب قبل عودته الى جيسن وهو على فراش مرضه الى صديقه أوجست شتوبر يقول : « ان الظروف السياسية تكاد تصيبنى بالجنون . ان الشعب المسكين يجر فى صبر العربة التى يمثل عليها الأمراء وأدعياء التحرر ملهاتهم . » كانت الأسابيع القليلة التى قضاها فى بيت أبويه كافيه ليعرف جبروت الدولة البوليسية الحاكمة عن كثب . ولم يكن من الممكن بعد ذلك أن يبتعد بنفسه عن مجرى الأحداث ولا لعاطفته الجياشة المتطلعة الى الحرية والعدل أن تقنع بمجلدات الطب والفلسفة والتاريخ التى كان يغرق نفسه فيها ليل نهار .

كانت البلاد الألمانية ممزقة تئن تحت حكم أمراء لايزالون يتمسكون بحقهم الالهى المطلق ، والوحدة الألمانية التى تمت بعد هزيمة نابليون وحدة فاسدة ، استطاعت حقا أن تمنع الحروب بين الدويلات المتحدة ولكنها لم تستطع أن تثبت دعائم السلام ، وكان الشباب يتوقون الى الحرية فى الداخل والخارج . وشعارات الثورة الفرنسية لاتزال تصرخ فى آذانهم . وشوقهم الى الحقوق المدنية وانصاف الطبقات المظلومة يؤرق نومهم . وكان دستور امارة هسن الكبرى — موطن بشنر — الذى صدر فى عام ١٨٢٠ مجرد مواد كتبت بالحبر على الورق . لقد أوجد بالفعل مجلسا نيابيا ، ولكن حق الترشيح لعضوية هذا المجلس ظل قاصرا على ألف شخص فحسب من بين ٧٠ ألفا من رعايا الامارة . وكانت أغلبية هؤلاء الألف من كبار الموظفين ، ومن القادرين على دفع مائة جولد من الذهب على الأقل ضرائب كل عام ؛ وهكذا كان من حقهم أن يفرضوا الضرائب ،

ولكن لم يكن ينتظر منهم أن يعفوا الشعب منها . ونشبت ثورة للفلاحين في « سودل » من مقاطعة هسن العليا . ولكنها سرعان ما أخمدت بقوة السلاح . وقد تركت وراءها المرارة التي لاحد لها في نفوس الشعب . وسوف يشير بشنر الى هذه الحادثة في بيانه الثوري فيما بعد حيث يقول : « ان الجنود يخرسون بطبولهم تنهداتكم . وببنادقهم يمزقون رءوسكم . حين تجسرون على التفكير في أنكم بشر أحرار . انهم السفاحون الشرعيون . الذين يحمون اللصوص الشرعيين . تذكروا سودل! ان اخوتكم وأبناءكم قد قتلوا هناك آباءهم وأخوتهم . »

كانت السنوات التي امتدت من ١٨١٥ الى ١٨٣٠ في ألمانيا في تلك الفترة التي تلت الحرب المريرة ضد نابليون سنوات جوع وحرمان وقهر بالنسبة لجموع الفلاحين والعمال اليدويين . كانوا يقفون في جانب . مثقلين بالضرائب ، مهددين بالعبودية والجوع . والموظفون الأذلاء ، ورجال البلاط ، والعسكريون في جانب آخر . وكانت أخبار الظلم الذي يزداد عليهم يوما بعد يوم تصل الى بشنر وهو يدرس في شتراسبورج ثم وهو يواصل دراسته في جيسن . ولم يكن من الممكن في نطاق المدينة الجامعية الصغيرة . وعيون الجواسيس تحيط بالطلبة من كل جانب . أن يخفي بشنر سخطه على الأوضاع الظالمة في بلاده . وتطلعه الى العدالة واحترام الانسان في ظل نظام جمهوري حر .

وبدأت شرارات الثورة تتجمع ؛ ثورة صغيرة بغير شك . قوامها الطلبة والمتعلمون وبعض أساتذة المدارس والجامعات ، تقلق رجال البوليس أكثر مما تحرك مشاعر الشعب الذي كان لايكاد يعرف عنها شيئا . وكان بشنر يشارك في تمرد المثقفين هذا دون أن يخفي سخطه عليه وارتيابه فيه ،

ذلك أنه لم يكن يؤمن بثورة تأتى من أعلى . وتردد شعارات الحرية والمساواة ، بينما الشعب محروم من حقوقه الأولية ، واقع تحت نير الجوع والظلم والوحشية . كان لابد فى رأيه أن يرفع الحرمان المادى والظلم الاجتماعى عن الشعب قبل التفكير فى حقوقه السياسية . وها هو يعبر عن ذلك فى بيانه الثورى فيقول : « ان الضغط المادى الذى ينوء تحته جزء كبير من الشعب الألمانى يبعث على السخط والحزن مثله مثل الضغط الروحى . وليس من المؤلم فى نظرى أن لايسمح لهذا المتحرر أو ذاك بالتعبير عن أفكاره بقدر ما يؤلم حقا أن نجد آلاف الأسر لاتملك أن تسوى بطاطسها » . لقد كان كل همه أن يجد الانسان يحترم فى وطن يحترم الانسان ويحرره من الظلم والجوع .

كان يعيش بقلبه مع الجائعين من العمال والفلاحين ، وينظر نظرة الشك والحذر الى مناقشات الأساتذة والمثقفين . وكانت أهم وسيلة لديه للوصول الى هؤلاء الفلاحين هى طبع المنشورات وتوزيعها عليهم .

ويكتب بشنر بيانه الثورى «رسول هسن» فى مارس من عام ١٨٣٤ ، ويساعده أستاذ اللاهوت « فيدج » على طبعه فى مطبعته السرية وتوزيعه بمعرفة أصدقائه ، — وان كان قد عدل فيه كثيرا ليخفف من لهجته الحادة ضد الأغنياء والمترفين — . ويؤلف فى الشهر نفسه جمعية سرية سماها « بجمعية الحقوق الانسانية » مهمتها تنوير جماهير الشعب ورفع الحرمان المادى عنها . ولكن أنصار الملكية وجماعات الطلبة ابتعدت عنها بل وكادت تقاطعها حين طلب أن يسمح لغير الجامعيين بالانضمام اليها . ولكن بشنر أصر على طلبه ، ودخل فى جمعيته السرية الخباز والترزى وصبى الجزار الى جانب الطالب والأستاذ الجامعى . وفى نفس

العام ألف فرعا آخر فى مسقط رأسه « دار مشتات » لهذه الجماعة من المتآمرين . كانوا يجتمعون سرا ، ليتدارسوا شئونهم . وينظموا دعايتهم بين الفلاحين ، ويتمرنوا على استخدام السلاح تمهيدا للثورة الشعبية الشاملة . ووزع منشور بشنر الثورى بعد أسابيع طويلة من العمل فيه — فما أكثر المتحذلقين الذين راحوا يعدلون فى أسلوبه ويخففون من لهجته — وراح أعضاء الجماعة السرية يوزعونه فى حذر على الفلاحين . ويلقونه تحت أبواب البيوت . واعتبرت حيازة المنشور من السلطات خيانة عظمى حتى بلغ الأمر بكل من وجد منشورا تحت بابه أن يسلمه فى فزع الى رجال البوليس ، خوفا من التشريد والتعذيب والحبس الانفرادى . ويقبض على أحد أصدقاء بشنر .وهو منيجورروده . ومعه عدد كبير من البيان الثورى الرائع ، ويسرع بشنر فى شجاعة نادرة بالسفر الى فرانكفورت وأوفنباخ ليحذر زملاءه . وتفتش غرفته فى غيابه ، فلا تجد البوليس شيئا يذكر . اللهم الا مجموعة من رسائل خطيبته اليه كتبتها اليه بالفرنسية فأخذوها معهم من باب الاحتياط ! وينتهى الفصل الدراسى الصيفى فيعود الى بيت أبويه ، اللذين ينصحهما الناس بابقاء المتمرد الشاب تحت رقابتهما فى الشتاء أيضا .

وهكذا ضاع صدى هذا البيان قبل أن يعلن صوته . وتحطم هذا السيف النارى قبل أن يثبت وجوده . لقد كان الضمير الاجتماعى فى ذلك العهد مايزال يغط فى نومه ، فبقى هذا الاحتجاج النبيل صرخة فى الفضاء ! وكان لدى الفلاحين من الصبر على الجوع أكثر مما كان يتوقع ، فلم يكن من المستطاع أن يفهموا لغته المدعمة بالاحصاءات ، وان فهموها فلم يكن من المستطاع أن يستجيبوا لها بالسرعة التى خيلها له حماس الشباب .

ها هو يقول لهم : اذهبوا يوما الى « دار مشتات » وانظروا كيف

ينعم السادة هناك بأموالكم ، ثم احكوا لأطفالكم ونسائكم الجياع كيف يوزع خبزهم على بطون الأجانب . أحكوا لهم عن الثياب الجميلة التى صبغوها بعرقهم ، والأشرطة المزخرفة التى قطعوها بشقوق أيديهم . أحكوا لهم عن القصور الرائعة التى بنيت من عظام الشعب ، ثم انزووا فى أكواخكم المدخنة ، وأحنوا ظهوركم فى حقولكم الجرداء ، حتى يستطيع أطفالكم ذات يوم أن يذهبوا الى هناك ، حيث يجتمع ولى عهد مع ولية عهد لينجبا ولى عهد آخر ، وينظروا من وراء النوافذ ليروا ما يأكله السادة ، ويشموا رائحة المصابيح التى يشعلونها بلحم الفلاحين » . كلمات واضحة ما كان يمكن أن تلتبس فى ذهن الفلاحين ، لو كتب لها أن تصل اليهم : « ستة ملايين « جولد » تدفعونها فى الامارة لحفنة من الناس وضعت حياتكم وأملاككم تحت رحمتهم ، مثلكم مثل غيركم فى بقية أجزاء ألمانيا الممزقة . انكم لستم شيئا ولا تملكون شيئا . حقوقكم سلبت منكم . عليكم أن تعطوا مايطلبه منكم مستغلوكم الذين لايشبعون . وأن تحملوا ما يلقونه على أكتافكم . أفتحوا أعينكم وعدوا حفنة المستغلين الذين لايستمدون قوتهم الا من الدم الذى يمتصونه من عروقكم ، ومن الأذرع التى تعيرونها لهم وأنتم مسلوبو الارادة . »

وهكذا تضيع دعوة « السلام للأكواخ ، والحرب على القصور » ، ويصادر البيان قبل أن يصل الى الايدى ، وتكبت الحركة الثورية ، ويستيقظ الكاتب الفنان فى نفس بشنر الذى يفر الى بيت أبويه فى شتاء ١٨٣٤—١٨٣٥ هربا من القبض عليه حيث يكتب فى شهرى يناير وفبراير مسرحيته الوحيدة التى أتمها قبل موته وهى « موت دانتون » — وقد أثبت الباحثون ان خمسها على الاقل منقول بنصه من تواريخ الثورة الفرنسية (تيير و منييه) — وما كان

قصده أن يمجد هذه الثورة ، بل أن يعبر عن فزعه من جبرية التاريخ ، وعدمية الوجود ، وتمزق البطل . ثم يهرب فى فبراير عام ١٨٣٥ الى شتراسبورج ، قبل صدور الأمر بالقبض عليه بقليل ، ويواصل دراسة الطب هناك ، ويحصل على شهادة الدكتوراه برسالة «عن الجهاز العظمى للأسماك » ، ويتابع الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشعبية «فويسك» وملهاته الباكية «ليونس ولينا» ورائعته القصصية «لنس» عن مأساة شاعر حركة العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ — ١٧٩٢)، وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم .

***

يعد بشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيللر . إن صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده .. فأبطاله يعانون مأساتهم ، وينحدرون إلى هوّة من العدم ، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد مجهولة باطشة ، ويسحقهم قدر قاس مستور . و « موت دانتون » تتألف من مشاهد مسرحية تأثر فيها بشنر بفن شكسبير وجعل موضوعها رجل الثورة الفرنسية المشهور دانتون ، بطل حوادث القتل المشهورة فى سبتمر ١٧٩٢ الذى ساقه زميله روبسبير إلى المقصلة فى ٥ أبريل عام ١٧٩٤ . وتدور أحداثها فى يومين اثنين معبرة عن احتقار دانتون لرعب الثورة التى جاءت لتحقق الحرية والمساواة فإذا بها تخضب يديها فى بحر من الدماء . ان دانتون بطل الثورة لم يعد بطلا . إنه ينظر بغير اكتراث إلى روبسبير وهو يدفع به إلى المقصلة ويشمئز من مشهد الدماء المسفوكة والرءوس المتساقطة ويسأل : « ما هذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ » لقد صار هاملت جديداً يخنق فكره إرادته : « ما نحن إلا دمى ،

تشد خيوطها قوى مجهولة . ما نحن الاعدام . لسنا نحن أنفسنا ، بل السيوف التى تتصارع بها الأشباح ، لكن المرء لا يستطيع أن يرى الأيدى التى تحركها ، كما فى حكايات الأطفال » . إنه لم يعد يعرف ما يريد ، أو هو بالأحرى لم يعد يريد شيئاً ، اللهم إلا الراحة الحقيقية فى القبر : « جولى ، أحبك كالقبر ؛ صدرك رمسى وقلبك تابوتى ». إن الثورة عنده هى فوضى الجماهير ، وأبطالها هم السفاحون ، ويمر الزمن فتصبح الخدعة تاريخاً . والمسرحية كلها تعبر عن مأساة الثورة ، كما تعبر عن خيبة أمل شاب حساس بعد فشل ثورته وثورة أمثاله فى تحطيم الطغيان الاقطاعى المستبد فى بلده ..

وأما قصته « لنس » فتشبه أن تكون دراسة سيكلوجية للعبقرى المجنون ، الذى أصبحت نفسه مسرحاً تصطرع عليه قوى النور والظلام ، وتهوى على الدوام فى فراغ مفزع يحيط بها من كل جانب ، وملل قاتل يسلبها كل معنى للحياة ؛ وعالم مضطرب لا تميز فيه بين الحلم والحقيقة : « كان يقف الآن على حافة الهاوية ، تدفعه لذة مجنونة إلى إعادة التطلع إليها مرة بعد مرة ؛ ومعاناة هذا العذاب من جديد » . ان العالم يضيق الخناق عليه حتى يكاد أن يختنق ويصرخ كالطفل المريض يريد أن يدفع بيديه جدران الأرض والسماء التى تكاد تسحقه ، ويبعد عنه أشباح القلق التى تكتم أنفاسه .

ومقياس الصدق الفنى عند « بشنر » ليس هو الفكرة المثالية المجردة ، بل العاطفة والشعور. ولنس يعبر عن رأيه الأدبى خير تعبير حين يقول : « إننى أطلب من كل شىء الحياة وإمكانية الوجود ، عندئذ أرضى عنه . ليس لنا أن نسأل بعد ذلك إن كان جميلا أو قبيحاً . إن الشعور هو المقياس الوحيد فى مسائل الفن . على أن هذا الشعور بالحياة يقابلنا نادرا ، إننا نجده عند شكسبير ، ونسمعه يتردد فى الأغانى الشعبية ، كما نلمسه فى بعض الأحيان عند جوته . كل ماعدا ذلك نستطيع أن نلقى به فى النار . إن هؤلاء الناس يعجزون عن

تصوير حظيرة كلاب . أرادوا أن يصوروا شخصيات مثالية ، ولكن كل ما أراه منها أمامى ليس إلا دمى خشبية . هذه المثالية هى أخس احتقار للطبيعة الإنسانية » . ان بشنر يطالب الفنان بأن يغوص فى كيان كل موجود ، أن يترك الشخصية تخرج بنفسها إلى الحياة . فلا يحاول أن يحشرها فى قالب أو ينسخها على صورة نموذج محدد من قبل ، لا يختلج فيه نبض ، ولا يتردد نفس.

و « ليونس ولينــا » هى ملهاته الوحيدة التى يغلفها جو صــاف من المرح الحزين والسخرية المريرة . إنها تعبر عن انتصار الحب على الملل القاتل والخوف المتسلط من الموت والفناء .

وقد كتبت « ليونس ولينا » على أثر مسابقة أعلن عنها الناشر كوتا فى الثالث من شهر فبراير عام ١٨٣٦ » لأفضل ملهاة ألمانية ، وحدّد لها موعداً ينتهى فى اليوم الأول من شهر يوليه من نفس العام . كان نجاح مسرحيته « موت دانتون » قد منحه المزيد من الشجاعة ، كما أعانته ترجماته لبعض مسرحيات فيكتور هيجو (لوكرتسيا بورجا — وماريا تودور) على فهم الكثير من أسرار المسرح ، أجمل الفنون وأعقدها جميعاً . وانتهى من كتابة ملهاته فى أسابيع قليلة من فصل الربيع . غير أنه تأخر فى إرسالها إلى الناشر ، فوصلت بعد انتهاء موعد المسابقة بيومين ، وأعيدت له المخطوطة دون أن تُفتح !

كتب بشر ملهاته وفى خيــاله نموذج للملهاة الرومانتيكية هو مسرحية فون برنتانو « ليونس دى ليون » التى كان قد اشترك بها فى نفس المسابقة قبل سنوات عديدة ، وسقطت فى المسابقة . ومن يدرى ؟ لعلّ بشنر لم يكن أيضاً يتوقع النجاح بقدر ما كان يريد أن يتحدّى القدر !

والقراءة الأولى للمسرحية توحى بأنها مسرحية رومانتيكية تسيطر على

فن الملهاة كما فهمه هؤلاء وعبروا عنه بروحهم الشاعرية الحالمة . والواقع أن يشنر قد كتب المسرحية بالفعل تحت تأثير قراءاته للرومانتيكيين الألمان من أمثال برنتانو ، وتيك وهو فمان وكاميسو والفرنسيين مثل فيكتور هيجو وألفرد دوموسيه. ولكن الواقع أيضاً أنه أراد أن يتحرر من أحزانهم وأشواقهم ، أن يكتشف الرومانتيكى فى نفسه لكى يتخلص منه ، أن يتجاوز عالمهم بالسخرية منه وبالتحدى له . هى مسرحية حالمة . ولكنه الحلم الذى يفتش عن المعرفة ، وهى حلم شفاف ، ولكنه لاينسينا مرارة الواقع المفزع أبداً . إنها من طراز مسرحيات الحلم من « حلم ليلة صيف » لشيكسبير إلى لعبة الحلم أو إلى دمشق لسترند برج، ولكن ليس فيها مكان للمثاليين ولا للعاطفيين.

فالحياة ملهاة ، ولكن هذه المعرفة لا تأتيه إلا من معرفته بفناء الحياة وعدميتها . وإذا كان الإنسان يشترك فى تمثيل هذه الملهاة فليس ذلك لأنه يسعده أن يشترك فيها . بل لأن قدراً قاسياً قد كتب عليه ذلك . فعنصر الكوميديا ينمو من الجذور التراجيدية ، بل ان العنصر التراجيدىّ يصبح عن طريق العنصر الكوميدىّ سخرية مرّة شاملة . وهذا ينطبق على الأمير « ليونس » الذى يشف شفافية النور ، ولكنه يكاد يقتل نفسه من طول التأمل فى نفسه ، مثله فى ذلك مثل دانتون ، البطل الذى شل تفكيره قدرته على الفعل .

إن ليونس أبيقورىّ من نوع عجيب . إنه يلتذّ بتعذيب نفسه ، ويستقطر الألم الكونىّ قطرة قطرة ، ويجد متعته فى حب يموت كطفل رقيق شاحب مسجى فى تابوت ، قبل أن يجدها فى نعمة الحب الذى ينمو ويتفتح ويزدهر . إنه يعشق نفسه ، أو بعبارة أصحّ يعشق أن يمتصّ الدم من جراحه ، أن يرى عواطفه تذبل وتتحلل ، أن يجد نفسه يترنّح كالراقص المسكين على الحبل بين الحلم والواقع ، بين الوهم والحقيقة ، بين اللعب والجدّ . إن كل همّه أن يوقف اللحظة الراهنة ليستمتع بها إلى آخر قطرة . ولكن اللحظة تمرّ ،

وتزيده احساساً بلوعة التناهي وعذاب المصير ، فيتأملها وكأنه يقول لها على لسان فاوست : تريّثى قليلا فما أجملك !

هذا الاحساس بالحياة يظلّ يتأرجح بين متعة الخيال التى لاحدّ لها ، وبين خيبة الأمل التى يسببها السأم . والحياة تواصل عبثها ، يشدّها الاحساس الرومانتيكىّ الذى يموت من ناحية ، وتجذبها حقيقة الواقع الذى يتجرّد من سحره من ناحية أخرى .

إن الشخصيات لا تجد الفعل الذى تغوص فى لجته ، فهى مهدّدة فى كل لحظة بالسقوط فى هوّة الفراغ . إنها ، على حد قول فاليريو ، كصفحة بيضاء كتب عليها فى كل لحظة أن تملأها بالكتابة . وتكاد الذات أن تغرق وتتلاشى ، لولا أن النظرة الساخرة المبتعدة تجدد سخريتها من هذه الذات فى لحظات الملل وتجدد بذلك أيضاً متعتها بعذابها ، ولولا نعمة الأسطورة التى تحقق الحلم فى النهاية ، وتخلّص الإنسان بالحب والسعادة من خوفه من الملل والعدم .

وقصة هذه المسرحية بسيطة . فالأمير ليونس من مملكة بوبوقد أعلنت خطبته لأسباب سياسة على الأميرة لينا من مملكة بيبى . ولكن الأميرين لم يسبق لهما أن تلاقيا وجها لوجه ، وليس فى امكانهما أن يشعرا بالحب نحو بعضهما . ولذلك يلجآن إلى الفرار من هذا الزواج الرسمىّ ، فيهرب ليونس فى صحبة خادمه فاليريو (وما أشبهه بشخصية مضحك الملك) وتهرب لينا فى صحبة مربيتها . ولكن القدر يشاء أن يلتقى العروسان ، دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وأن يتحابا ويتفقا على الزواج . وكأن بشنر يريد بهذا أن يصوّر قدرية التاريخ على خشبة المسرح ، وأن يمسك بيديه تلك الخيوط التى تحركنا بها قوة مجهولة ، وكأننا دمى مسكينة فى يديها . ويعود الأمير ليونس إلى

مملكته بعد أن صمّم على الزواج من حبيبته المجهولة ، ويقدمهما فاليريو إلى البلاط كما يقدم « آلات حية » . المقدور إذن قد حدث . ويضطر الملك ، الذى لا يريد أن يؤجل احتفالات الزواج حتى لا يشغله ذلك عن تأملاته الفلسفية ، إلى الموافقة على عقد زواج العروسين المقنّعين . ثم لا يلبث أن يكتشف أنهما هما ولده وعروسه . وتنتهى الرواية نهاية سعيدة ، فيخلف ليونس أباه على العرش ، وترفرف السعادة والحكمة على المملكة التى لا يعيبها سوى أن اسمها هوبوبو ! (*) .

ويلاحظ القارىء أن بشنر يسجّل بهذه المسرحية ، فى إطار ساخر ، زهده فى السياسة ، وخيبة أمله فى الثورة على الاستبداد . إنه هنا يكرر ما قاله فى بيانه الثورىّ الفريد « رسول هسّن » ، وان لم يقله بنفس اللهجة الحادّة التى كادت تودى بحياته .

أما عن مسرحية فويسك فإن بطلها يعدّ أول شخصية كادحة تحتل مكان الصدارة فى مسرحية عالمية . استمد بشنر موضوعها من حكاية واقعية جرت حوادثها لجندى بسيط قتل زوجته لخيانتها له . وتسود المسرحية كلها روح الانهيار الكونى الشامل والفزع من ظلام العدم والقلق أمام المجهول .

إن البطل هنا ، مثله مثل دانتون ، لا يتقدم إلى الأمام ، بل يحنى رأسه للقدر المعتم ، لا عن ضعف ، بل عن بصيرة بعبث كل فعل وانتصار . ولما لم يكن هناك فعل ، فليس ثمة رد فعل له ، ولا مسرحية بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة . إن الفصل ينحل إلى مشاهد منفصلة ، ومحاورات ذاتية (مونولوجات) ، ولحظات خاطفة . وليس ثمة خط يرتفع بالحدث أو يهبط به إلى نهايته ، بل لوحات

---

* بوبو هى المقعدة . كما أن بيبى ، اسم مملكة الاميرة لينا ، هو عضو الذكورة عند الرجل .

مفككة ، ورعشات لا يجمعها غير التوتر المتصل . وفويسك قد وجد حقيقة كما قدمنا ، واختلف الأطباء الشرعيون فى قواه العقلية . كان يقول فى المحاكمة إنه كان يسمع أصواتاً تناديه « اطعن ! اطعن ! » ليس هو إذن الذى قتل ، بل قوة مجهولة طاغية يعجز عن إدراك كنهها . وتقول القضية التى تستند إليها المسرحية إن صانع القبعات يوهان كرستيان فويسك طعن أرملة الجراح فوست البالغ عمرها ٤٦ عاماً بسكين حادة ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر يونيه عام ١٨٢١ حوالى الساعة العاشرة مساء على عتبة مسكنها فى مدينة « ليبتسج » . لقد قتلها بدافع الغيرة . فقد كانت عشيقته ، وكان يعلم عنها أن لها علاقة برجال آخرين ، وبالأخص مع الجنود . كانت قد وعدت أن تلقاه فى المساء ، ولكنها خرجت مع غيره ، مما دفعه على الإقدام على جريمته . أياما كانت تفاصيل القضية التى شغلت الرأى العام آنذاك فقد حكم على فويسك بالاعدام بالسيف ، ونفذ فيه الحكم علناً فى السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٨٢٤ فى فى سوق ليبزج . وقد يحتمل أن تكون هذه القضية قد ظهرت فى محيط عائلة بشنر ولعله قد تحدث فى شأنها مع أبيه الذى كان هو نفسه طبيباً وكان لاشك له رأيه فى المناقشات الطبية الطويلة التى دارت حول فويسك ومدى قدرته العقلية . المهم أن بشنر قد تذكر هذه الحادثة التى ظلت كامنة فى عقله الباطن أثناء دراسته فى ستر اسبورج ، ووجد فى شخصية فويسك تعبيراً عن اقتناعه بالقدرية التى تسير الإنسان وتلعب بمصيره وتسلبه إرادته .

وقد ظهرت المسرحيتان بعد موت بشنر المفاجىء بمرض التيفوس ولم يكد يتم أربعة وعشرين عاماً من عمره .

أما عن الترجمة فلابد عن الاعتراف بأن بعض المقطوعات الشعرية قد فرضت نفسها على فوجدتنى أترجمها بالعامية . ولست أحب أن أعتذر كثيراً

لأعداء العامية ، وإذا كنت قد أوردت النص الحرفى لهذه المقطوعات فى الهامش باللغة الفصحى ، فقد راعيت فى ذلك حق اخوننا من القراء العرب علينا ، ممن قد يتعذر عليهم فهم بعض كلمات اللهجة المصرية .

هذا ويجب ألا ننسى أن بشنر قد ترك مسرحيته شذرة لم تتم . والنقاد ومؤرخو الأدب يختلفون حتى الآن فى المشهد الذى يناسب النهاية أكثر من غيره . وقد أخذت هنا برأى « فريتز برجمان » الذى قام بنشر أعمال بشنر نشرة علمية محققة فى دار « انزل » المشهورة .

عبد الغفار مكاوى

ليونس ولينا

ملهاة للكاتب الألماني

جورج بشنر

تقـــديم ..

الفــيرى ـ والمجـد ؟!

جـــوتزى ـ والجـــوع ؟!

ليونس ولينـــــــــا
ملهـــــــــاة
LEONCE UND LENA
— Ein Lustspiel —

الشخصيات

König Peter,	الملك بيتر
vom Reiche Popo	من مملكة بوبو
Prinz Leonce,	الأمير ليونس
sein Sohn, verlobt mit	ابنه وخطيب لينا
Prinzessin Lena	لينـــا
vom Reiche Pipi	من مملكة بيبي
Valerio	فاليريو
Die Gouvernante	المربيــــة
Der Zeremonien meister	رئيس التشريفات
Der Präsident des Staatsrats	رئيس الوزراء
Der Hofprediger	واعظ البلاط
Der Landrat	أعضاء مجلس الوزراء
Der Schulmeister	المدّرس
Rosetta	روزيتـــا
Bediente — Staatsräte — Bauern etc...	خدم ـ وزراء ـ فلاحون ... الخ .

الفصل الأول

آه لو كنت أحمق !
ان طموحي يمشي بسترة حمراء .
(كما تهواه) .

المشهد الأول

« بستان. ليونس مستريحاً على إحدى الأرائك . المدرس . »

ليونس : سيدى ، ماذا تريد منى ؟ أتريد أن تعدّنى لمهام وظيفتى ؟ إن يدىّ مزد حمتان بالعمل ، ولا أدرى كيف أتصرف — أنظر ، ان علىّ أولا أن أبصق على هذا الحجر ثلاثمائة وخمسة وستين مرة متتالية . ألم تجرّب ذلك بعد ؟ حاول ، وسوف ترى أنه يضمن لك تسلية فريدة . ثم — هل ترى هذه الحفنة من الرمال ؟ (يتناول حفنة من الرمل ويلقى بها فى الهواء ثم يتلقاها بظهر يده) ها أنا ألقى بها فى الهواء . هل تحب أن نتراهن ؟ كم حبة من الرمل على ظهر يدى الآن ؟

عدد زوجى أم فردى ؟ ماذا ؟ ألا تريد أن تدخل فى الرهان ؟ هل أنت وثنى ؟ هل تؤمن بالله ؟ إننى فى العادة أتراهن مع نفسى وأستطيع أن أفعل ذلك طوال أيام عديدة . إذا استطعت أن تقنع انساناً يلمس فى نفسه الرغبة فى أن يدخل معى أحياناً فى رهان ، فإنك ستؤدى إلىّ خدمة مشكورة . ثم إن علىّ — أن أتفكر كيف يكون حالى لو أمكننى أن أرى نفسى واقفاً على رأسى . آه ! لو استطاع الإنسان أن يرى نفسه وهو واقف على رأسه ! إن هذا أحد المثل العليا التى أسعى إليها . لو تمّ هذا لساعدنى كثيراً . ثم — ثم أحلام من هذا النوع لا نهاية لها . — هل ترى أننى لا أجد ما أعمله ؟ أليس لدىّ الآن عمل أقوم به ؟ — نعم ، إنه لشىء محزن ...

المعلّم : محزن جداً ، يا صاحب السمو .

ليونس : منذ ثلاثة أسابيع والسحب تزحف من الغرب إلى الشرق . إن هذا يجعلنى فى منتهى الكآبة .

المعلّم : كآبة لها ما يبررها .

ليونس : أف ! لماذا توافقنى دائماً ؟ لماذا لاتعارض كلامى ؟ لديك أعمال ملحّة ، أليس كذلك ؟ يؤسفنى أننى

عطلتك كل هذا الوقت . (يبتعد المعلّم بعد أن ينحنى إنحناءة شديدة) سيدى ، أهنئك على القوس الجميل الذى تصنعه ركبتاك عندما تنحنى .

ليونس : (وحده — يتمدد على الأريكة) النحل يقف فى كسل على الزهور ، وضوء الشمس يرقد فى خمول على الأرض ، وفراغ مفزع يقتلنى .

الفراغ هو أصل كل الرذائل — ما أكثر ما يفعله الناس مدفوعين بالملل ! إنهم يدرسون لإحساسهم بالملل ، ويصلون لأنهم يشعرون بالملل ، والملل هو الذى يجعلهم يحبون ، ويتزوجون ، ويتكاثرون ، وفى النهاية يموتون من الملل ، وهم يفعلون ذلك كله — وهذا هو مبعث الضحك فى الأمر كله — بنفس الوجوه الجـــادة الصارمة ، دون أن يعرفوا سبباً لذلك ، والله وحده يعلم لماذا . كل هؤلاء الأبطال ، هؤلاء العباقرة ، والأغبياء ، والقديسون ، والمذنبون ، والآباء ليسوا فى الحقيقة إلا متبطلين فارغين . ولكن لماذا كتب علىّ أن أعرف ذلك ؟ لماذا لا أصبح مهما مثلهم وألبس سترة السهرة السوداء وأعطيها مظلّة واقية من المطر تضعها فى يدها ، حتى تصير متأنقة نافعة وطيبة الخلق ؟ — هذا الرجل الذى انصرف الآن عنى ، كم

أحسده ، وكم وددت لو استطعت أن أعبر عن حسدى بعلقة أعطيها له . آه ، لو كان فى استطاعة الإنسان أن يتحول إلى شخص آخر ، ولو لمدة دقيقة واحدة ! — (يظهر فاليريو وهو سكران قليلا .) هذه المشية التى يمشيها ! لو كنت أعلم شيئاً تحت الشمس يدفعنى أنا أيضاً على المشى !

فاليريو : (يقف فى مواجهة الأمير ، ويضع أصبعه على أنفه ويبحلق فى وجهه) : نعم !

ليونس : (فى مثل لهجته) صحيح !

فاليريو : هل قصدتنى ؟

ليونس : بالضبط ..

فاليريو : تريد إذن أن نتحدث عن شىء آخر (يرقد على العشب) سوف أستلقى فى هذه الأثناء على العشب ، وأدع أنفى تزدهر بين رءوس الأعشاب ، وأستمد احساسات رومانتيكية حين أجد النحل والفراشات تهتز فوقها كما تهتز فوق زهرة .

ليونس : ولكن لا تنشق يا عزيزى بكل هذه القوة ، والا تضور النحل والفراش جوعا .

فاليريو : آه يا سيدى ! ما أعجب هذا الإحساس الذى أحمله

للطبيعة ! لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الإنسان أن يكون ثورا لكى يستطيع أن يفترسه ، ثم يتمنى أن يعود فيتحول إنساناً لكى يأكل الثور الذى افترس مثل هذا العشب !

ليونس : أيها الشقى ! يبدو أنك أنت أيضاً مشغول بالمثل العليا .

فاليريو : إنها مصيبة فادحة ! فلا يستطيع الإنسان أن يقفز من فوق برج كنيسة بغير أن تكسر رقبته . ولا يستطيع أن يأكل أربعة أرطال من الكرز بغير أن يصيبه المغص . أنظر يا سيدى ، إن فى استطاعتى أن أجلس فى زاوية وأن أغنى من المساء حتى مطلع الصبح : « هاى ، هناك ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحائط » وهكذا إلى آخر لحظة فى حياتى .

ليونس : كفّ عن أغنيتك السخيفة ، إن الإنسان يكاد يجن عند سماعها .

فاليريو : إذن لكان الإنسان شيئاً . مجنون ! مجنون ! منذا يريد أن يأخذ منى عقلى ويعطينى جنونه ؟ ها ! أنا الاسكندر الأكبر ! الشمس تسطع فى شعرى كأنها تاج من الذهب، وما أجمل ما تلمع بذلتى العسكرية ! أيتها الجرادة ! أنت القائد الأعلى ! دع القوات تتقدم ! أيها العنكبوت ! أنت وزير المالية ! أنا فى حاجة إلى مال ! وأنت أيتها

الفراشة ! يا وصيفتى العزيزة ! كيف حال زوجتى العزيزة الفاصوليا ؟ وأنت أيتها الذبابة الأسبانية ! ، يا طبيبى الخاص العزيز ! أنا فى حاجة إلى ولىّ للعهد ! ومع هذه الخيالات اللذيذة يحصل الإنسان على شربة ممتعة ، ولحم طيب ، وخبز لذيذ ، وفراش ناعم ، ويحلق شعره مجاناً — أعنى فى مستشفى المجانين — بينما أنا بعقلى السليم لا أصلح إلا لتسميد شجرة كرز ، لكى ؟ — لكى ؟ ..

ليونس : لكى تجعل حبات الكراز تتساقط من ثقوب سروالك حمراء من الخجل ! ولكن أيها العزيز ، ماذا عن صنعتك ، مهنتك ، حرفتك ، مركزك ، فنك ؟

فاليريو : (فى كبرياء) سيدى ، ان شغلى الأكبر هو الصعلكة ! وبراعتى التى لا نظير لها فى ألا أعمل شيئاً . وعندى الصبر الهائل على الكسل . ما من عمل أهان كفىّ . ما من عمل أهان كفى بالشقوق ، ولا شربت الأرض قطرة عرق من جبهتى ، فمازلت عذريا من ناحية العمل ، ولولا أن الأمر يكلفنى من الجهد فوق طاقتى ، لبذلت جهدى فى شرح هذه المآثر كلها لك .

ليونس : (فى حماس مضحك) : تعال إلى صدرى ! ألست واحداً من الالهيين الذين يجوبون طريق الحياة خلال

العرق والتراب ، بغير عناء وبجبهة صافية، ويدخلون إلى الأوليمب بأقدام لامعة وأجساد زاهية كأنهم آلهة مباركون ؟ تعال ! تعال !

فاليريو : (يغني وهو ينصرف) : هاى ! هناك ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحائط ! . ذبابة على الحائط !

(ينصرفان وكلاهما ممسك بذراع الآخر)

المشهد الثانى

غرفة :

(الملك بيتر يساعده خادمان على ارتداء ملابسه)

بيتر : (والخادمان يلبسانه) .. من الواجب على الإنسان أن يفكر ، وواجبي أن أفكر لرعيتي ؛ لأنهم لا يفكرون ، لا يفكرون . الجوهر هو الموجود فى ذاته ، وذلك هو أنا . (يتجوّل فى الغرفة شبه عار) مفهوم ؟ فى ذاته هو فى ذاته ، أتفهمون ؟ الآن تأتى صفاتى ، وأحوالى ، وانفعالاتى ، وأعراضى : أين قميصى ، أين سروالى ؟ — قف ! الإرادة الحرّة مفتوحة تماماً من الأمام . أين الأخلاق : أين الأساور ؟

المقولات فى ارتباك مخجل : لقد أحكم زرار أكثر من اللازم ، العلبة فى الجيب الصحيح ، نظام ملكى كله انهار — ها ! ما معنى هذا الزرار الموضوع فى المنديل ؟ أنت يا غلام ! ما معنى هذا الزرار ، ما الذى أردت أن أذكر به نفسى ؟

الخادم الأول : عندما شاءت إرادة جلالتكم أن تضعوا هذا الزرار فى منديلكم ، فقد كنتم تريدون ..

الملك : ماذا كنت أريد ؟

الخادم الأول : أن تتذكروا شيئاً .

بيتر : جواب محيّر ! والآن ، ماذا تقصد ؟

الخادم الثانى : أردتم جلالتكم أن تتذكروا شيئاً ، عندما شاءت إرادة جلالتكم أن تضعوا الزرار فى منديلكم .

بيتر : (يذرع الغرفة جيئة وذهاباً) : ماذا ! ماذا !؟ أنهم يحيروننى . إننى فى أشدّ الارتباك . إننى لا أدرى ماذا أفعل . (يظهر أحد الخدم)

الخـــادم : يا صاحب الجلالة ، لقد اجتمع مجلس الوزراء ؟

بيتر : (فرحاً) .. نعم ، هو ذاك ! هو ذاك ! لقد أردت أن أتذكر شعبى . — تعالوا يا سادتى !

اجعلوا خطواتكم متناسقة . أليس الجو شديد الحرارة ؟ اخرجوا مناديلكم وامسحوا بها وجوهكم ! إننى أصاب دائماً بالارتباك حين أتحدث فى اجتماع عام . (ينصرف الخدم . الملك ــ الوزراء)

بيتر : يا أحبائى وأعزائى ، أردت بهذا الاجتماع أن أخـــبركم وأنهى إلى علمكم ، ذلك أنه إما أن يتزوج ابنى ، وإما ألا يتزوج ــ (يضع اصبعه على أنفه) : إما ، أو ــ أنتم تفهموننى بطبيعة الحال ؟ وليس هناك أمر ثالث . الواجب على الإنسان أن يفكر (يقف لحظة متفكراً) : عندما أتحدث بصوت مرتفع فلا أدرى عندئذ ان كنت أنا الذى أتحدث أو شخص آخر سواى . إن ذلك يفزعنى . (بعد فترة من التفكير الطويل) أنا هو أنا ـ ما رأيك فى هذا ، ياسيادة الرئيس ؟

الرئيس : (فى بطء وتثاقل) : يا صاحب الجلالة ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضاً كذلك .

الوزراء جميعاً فى صوت واحد : نعم ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضاً كذلك .

بيتر : (فى تأثر) : آه يا حكمائى ! فيم إذن كنت أتحدث ؟ عن أىّ شىء كنت أريد أن أتكلم ؟ يا سيادة الرئيس ، لم كانت ذا كرتك ضعيفة كل هذا الضعف فى مثل هذا الحفل العام ؟ لقد رفعت الجلسة .

(يبتعد فى مظاهرة فخمة ووراءه الوزراء)

المشهد الثالث

(قاعة رائعة الزينة ــ شموع تحترق)

(ليونس مع بعض الخدم)

ليونس : هل أسدلت جميع الستائر ؟ أوقدوا الشموع ! ليذهب النهار إلى غير رجعة ! أريد الليل . الليل الالهى ، الرائع ، العميق . ضعوا المصابيح تحت الكئوس البللورية فى زهور الدفلى ، حتى تحلم مثل عيون العذراى تحت رموش الأوراق . قرّبوا الزهور ، حتى تفيض الخمر كقطرات الندى من الكئوس . موسيقى ! أين الكمنجات ! أين روزيتا ؟ ــ اذهبوا !

اخرجوا جميعاً !

(ينصرف الخدم . ليونس يتمدد على سرير — تدخل روزيتا فى رداء رشيق . تسمع موسيقى من بعيــد)

روزيتــا : (تقترب مداعبة) ليونس !

ليونس : روزيتــا !

روزيتــا : شفتاك كسولتان . من التقبيل ؟

ليونس : بل من التثاؤب !

روزيتــا : أوه !

ليــونس : آه ياروزيتا . أمامى عمل فظيع ...

روزيتــا : وما هو ؟

ليــونس : ألا أعمل شيئاً ..

روزيتــا : سوى أن تحب ؟

ليــونس : وياله من عمل !

روزيتــا : (وقد أحسّت بالاهانة) : ليونس !

ليــونس : أو ياله من مشغولية .

روزيتــا : أو من فراغ ؟

ليونس : معك الحق كما تعوّدت دائماً . أنت فتاة ذكية ، وأنا أقدر فيك حدّة الذكاء .

روزيتــا : وهكذا تحبنى لاحساسك بالملل ؟

ليـــونس : لا ، بل إننى أحسّ بالملل لأننى أحبك . ولكننى أحب الملل الذى أشعر به تماماً كما أحبك . أنتما عندى شىء واحد : ما أحلى ألا يعمل الإنسان شيئاً ! إننى أحلم بالنظر فى عينيك كما لو كانا نبعين عميقين حافلين بالأسرار والمعجزات ؛ تقبيل شفتيك يجلب لى النعاس مثل ما يفعل خرير الأمواج . (يعانقها) تعال ، أيها السأم المحبوب ، شفتاك تثاؤب شهىّ ، وخطاك ايقاع رتيب . .

روزيتـــا : هل تحبنى يا ليونس ؟

ليـــونس : ولم لا ؟

روزيتـــا : تحبنى دائماً ؟

ليـــونس : دائماً ؟ هذه كلمة طويلة ! إن أحببتك خمسة آلاف سنة وسبعة شهور ، فهل يكفيك هذا ؟ إنها تقل بكثير عن دائماً ، ولكنها على كل حال مدة كافية ، وفى استطاعتنا أن ندخر الوقت الذى يكفى لتبادل الحب معاً .

روزيتـــا : وربما سلبنا الوقت من الحب .

ليونس : أو ربما سلب الحب منا الوقت . أرقصى يا روزيتا ، أرقصى ، حتى يمضى الزمن على

وقع قدميك الرقيقتين !

روزيتـــا : تود قدماى لوخرجتا عن الزمن . (ترقص وتغنى) :

أوّاه يا رجلىّ
رجلىّ المضنيين
لابدّ من رقصة
فى ذلك الحذاء
الأحمر اللـــون
ولو ملكتّما
لغصتّما فى الأرض
وغبتّما هناك
فى جوفها العميق
فى جوفها العميق .
وآه يا عينىّ
عينىّ الحلوتين
لا بد أن تلتمعا
فى وهج الشموع .
ولو ملكتّما
أغضيتّما طويلا
فى عتمةِ الظـــلام

من شدّة الآلام .
من شدّة الآلام .
وآه يا خـــدىّ
خدىّ الدافئين
لابدّ أن تحترقا
فى لهب العنـــاق
فى حين تنشدان
لو ازدهرتما
كزهرتين بيضاوين
فى ألق الربيع
فى ألق الربيع .

ليونس : (حالما) : آه ! ان حبا يموت خير من حب يولد . أنا رومانىّ ؛ أجلس إلى مائدة الطعام الشهىّ بينما تلعب الأسماك الذهبية بألوانها وهى تموت ، كنوع من التحلية للوجبة اللذيذة . أنظرى إلى اللـــون الأحمر وهو يموت فى خدودها ، والأعين التى ينطفىء لهيبهـــا فى سكون ، واهتزازات أعضائها وهى ترتفع وتهبط فى هدوء . الوداع ، الوداع يا حبيبتى ، أريد أن أحب جثتك . (روزيتا تعود فتقترب

منه) هل تدمعين يا روزيتا ؟ ان القدرة على البكاء طبع أبيقورىّ لطيف . أجلسى فى الشمس ، حتى تتحوّل القطرات الغالية إلى حبات من البلّور ! لابد أن تصبح قطعاً بديعة من الماسّ . تستطيعين أن تصنعى منها عقداً لك :

روزيتـــا : تقول قطعاً من الماسّ . وهى تجرح عينىّ كالسكاكين . آه ياليونس ! (تريد أن تضمّه إلى صدرها) .

ليونس : احذرى ! رأسى ! لقد دفنت حبنا فيه . أنظرى فى نوافذ عينىّ ! ألا ترين المخلوق المسكين قد مات وشبع موتاً ؟ ألا ترين الزهرتين البيضاوين على وجنتيه ، والزهرتين الحمراوين على صدره؟ لا تدفعينى ، حتى لا ينكسر له ذراع ، وإلا كانت خسارة . ان علىّ أن أحمل رأسى فوق كتفىّ كما تحمل الندّابة تابوت طفل صغير .

روزيتـــا : (مازحة) مجنون !

ليونس : روزيتا ! (روزيتا تقطب وجهها مداعبة) الحمد لله ! (يغمض عينيه) .

روزيتـــا : (مفزوعة) : ليونس ! انظر إلىّ !

ليونس : مستحيل !

روزيتــا : نظرة واحدة !

ليونس : ولا نظرة ! فما هى إلا شعرة واحدة ويولد حبي العزيز من جديد . إننى سعيد لأننى دفنته فى التراب . أنا الآن أحتفظ بطعمه .

روزيتــا : (تبتعد حزينة بطيئة الخطى، وتغنى وهى تنصرف)

ما أنا إلا طفلة يتيمة

تخاف من وحدتها الأليمة

أوّاه ! يا لوعتى الرحيمة

وددت لو كنت لى النديمة .

ليونس : (وحده) ما أعجب أمر الحب ! يرقد الانسان فى فراشه عاما بأكمله بين اليقظة والمنام ، ثم اذا به يستيقظ ذات صباح جميل ، فيشرب كوب ماء ، ويرتدى ثيابه ، ويمر بيده على جبهته ، ويتفكر ، ويتفكر . يا الهى ! كم عدد النساء الذين يحتاج اليهم الانسان لكى يغنى على سلم الحب صعودا وهبوطا ؟ لا تكاد توجد امرأة تؤدى نغمة واحدة . لماذا يتجمع البخار فوق أرضنا كأنه مخروط زجاجى يكسر

شعاع الحب الأبيض المتوهج فى قوس قزح ؟
(يشرب) أين الخمر التى سأسكر بها اليوم ؟
فى أية زجاجة تختبىء ؟ هل فقدت القدرة
حتى على السكر ؟ ها أنا كما لو كنت أجلس
أمام خرطوم ينفث الهواء . والهواء تلسعنى
برودته ، حتى أكاد أتجمد ، وكأن على أن
أرتدى سراويل «نانكنج» لأتزحلق على الجليد —
سادتى ، سادتى ، هل تعرفون كاليجولا
ونيرون ؟ أنا أعرفهما . — تعال ياليونس :
أسمعنى حديثك الى نفسك ، فأنا أريد أن
أنصت اليك . حياتى تتثاءب فى وجهى كأنها
ورقة كبيرة بيضاء ، كتب على أن أملأ
صفحتها ، غير أننى لا أقدر على كتابة حرف
واحد . رأسى قاعة رقص خالية ، زهرات
ذابلة على الأرض وأشرطة مثنية ملقاة ،
كمنجات مهشمة فى ركن بعيد ، ومن تخلف
من الراقصين نزعوا الأقنعة عن وجوههم
وراحوا يتطلعون الى بعضهم البعض بعيون
منهكة من التعب . أنا أتعثر حولى كل يوم
أربعة وعشرين مرة كأننى قفاز يوضع فى

اليد . آه ! أنا أعرف نفسى ، أنا أعلم فيم سأفكر وأحلم فى الربع ساعة القادمة ، فى ثمانية أيام ، فى سنة كاملة . الهى ! أى ذنب جنيت حتى تجعلنى أكرر درسى كالتلميذ الخائب كل هذا الوقت ؟ برافو ياليونس ! برافو ! (يصفق بيديه) اننى أكون فى منتهى الفرح حين أنادى نفسى بهذا النداء . ها ! ليونس ! ليونس !

فاليريو : (الذى يظهر من تحت المائدة) يبدو أن سموك فى طريقك الى أن تكون مغفلا حقيقيا .

ليونس : نعم . نفس الشىء يتضح لى أنا أيضا .

فاليريو : انتظر قليلا . نريد أن نتحدث فى ذلك على الفور ! بقى أمامى قطعة لحم مشوى أخذتها من المطبخ ، وقليل من الخمر سرقته من مائدتك . سألتهمهما حالا !

ليونس : ياللمفترس ! الوغد يسبب لى احساسات خيالية لذيذة ! انى أتمنى الآن لو أعود فأبدأ من أبسط الأشياء ، فآكل الجبن ، وأشرب الجعة ، وأدخن الطباق . هيا أسرع ، ولا تقبع هكذا بخرطومك ، ولا تصر هكذا بأنيابك !

فاليريو : ياسيدى العزيز أدونيس ، هل تخاف على فخذيك ؟ لاتخش شيئا فلست صانع مكانس ولا أنا معلم فى مدرسة . لست فى حاجة الى أعواد لبلاب لأفتل منها سياطا .

ليونس : لست مدينا بشىء لاحد .

فاليريو : تمنيت لو كان هذا هو حال سيدى .

ليونس : هل تقصد العلقة التى تستحقها ؟ أتهتم كل هذا الاهتمام بأمر تربيتك ؟

فاليريو : يا الهى ! ان من السهل على الانسان أن يولد من أن يربى . من المحزن أن يرى المرء فى أية ظروف يضعه غيره ممن تختلف ظروفهم عنه ! كم من أسبوع عشته منذ أن حملت بى أمى ! (*) وكم من خير لقيته حتى أشكر اليوم الذى تلقتنى فيه القابلة ؟

ليونس : أما فيما تعلق بحملك ، فليس هناك ما يحملك على أن تحمل على أمك لأنها حملت بك . عبر عن نفسك تعبيرا أفضل ، والا أصابك أسوأ انطباع من طبعى .

---

* يلجأ بشنر فى هذه الفقرة والفقرات التالية الى التلاعب بالالفاظ ويستخدم من الجناس والكناية ما يصعب ترجمته الى العربية .

فاليريو : عندما أبحرت سفينة أمى حول جبال الرجاء الصالح ...

ليونس : وتكسرت سفينة أبيك عند رأس القرن ..

فاليريو : صدقت ، فقد كان من حراس الليل . ومع ذلك فلم يكن من عادته أن يضع القرون على الشفاه كما يضعها آباء النبلاء على الجبين .

ليونس : أيها الوغد ! انت تملك موهبة الوقاحة السماوية . انني أشعر بحاجة تدفعني الى استغلالها عن قرب . كما أشعر بحماس عظيم لأن أضربك علقة .

فاليريو : هذا جواب مفحم وبرهان قاطع .

ليونس : (يهجم عليه) وأنت نفسك جواب مهزوم . ذلك أنك ستأخذ علقة عليه .

فاليريو : (يفر منه . ليونس يتعثر ويسقط) وأنت برهان ، مازال ينتظر الاثبات ، ذلك لأنه يسقط على ركبتيه ، اللتين تحتاجان فى الحقيقة الى الاثبات . انها عبارة عن عضلات ساق على أقصى درجة من عدم الاحتمال ، وأفخاذ تعد مشكلة عويصة .

(يدخل الوزراء . ليونس يظل جالسا على الأرض . فاليريو) .

رئيس الوزراء : هل تغفرون لى ياصاحب السمو ؟.

ليونس : كما أغفر لنفسى ! كما أغفر لنفسى ! انى أغفر لها حسن النية الذى يجعلنى أنصت اليك . سادتى ، ألا تحبون أن تجلسوا ؟ – ياهذه الملامح التى تكسو وجوههم حين يسمعون كلمة « الجلوس » . اجلسوا على الأرض ولا تتحركوا ! انها المكان الأخير الذى ستشغلونه فى يوم من الأيام ، ولكنه مكان لا يكلف أحدا أى شىء ، اللهم الا حفار القبور !

رئيس الوزراء : (الذى يمضى فى تحريك اصبعه نفس الحركة السريعة) : هل تتعطفون سموكم ، بخصوص..؟

ليونس : يا ألهى ، أخف يديك فى جيوب سروالك ، أو اجلس عليهما . لقد خرج عن طوره تماما . تماسك يارجل !

فاليريو : لايصح أن يقاطع الانسان طفلا يتبول ، والا حصلت له حبسة ...

ليونس : يا رجل ! امسك نفسك ! فكر فى أسرتك ! فى مهام الدولة ! لو وقفت خطبتك فى حلقك فربما تتعرض للاصابة بالنقطة !

رئيس الوزراء : (يسحب ورقة من جيبه) : هل تسمحون ياصاحب السمو ..

ليونس : ماذا ؟ وتستطيع أيضا أن تقرأ ؟ ماذا اذن ...

رئيس الوزراء : ان صاحب الجلالة يحيط علم سموكم بأن غدا هو موعد وصول عروس سموكم صاحبة السمو والرفعة الأميرة لينا من مملكة بيبى ...

ليونس : اذا كانت عروسى تنتظرنى فسوف أنفذ إرادتها وأجعلها تنتظرنى . لقد رأيتها ليلة أمس فى المنام . كانت لها عينان واسعتان بحيث يصلح حذاء الرقص الذى تلبسه روزيتا ليكون حاجبا لهما . أما على خديها فلم أر أخاديد غائرة بل حفرا تتسع لضحكاتها . انى أؤمن بالأحلام . هل تحلم أنت أيضا فى بعض الأحيان ياسيادة الرئيس ؟ هل يحدث لك أن ترى رؤيا أو الهاما ؟

فاليريو : بالطبع .. كلما علم أنه فى اليوم التالى سيشوى

لحم أو يذبح ديك أو أن سموكم الملكى سيصاب بمغص .

ليونس : على فكرة . ألم يبق شىء على طرف لسانك ؟ هات كل ماعندك .

رئيس الوزراء : لقد شاءت الارادة العليا لصاحب الجلالة الملكية أن يضع فى يوم الزواج كل مظاهر ارادته السامية بين يدى سموكم .

ليونس : بلغ مسامع صاحب الارادة السامية أننى سأفعل كل شىء باستثناء ماسوف أبقيه على حاله ، وهو مالن يكون على كل حال أكثر مما لو كان كثيرا ... — سادتى ، أعذرونى فلن أستطيع مصاحبتكم ، وأنا فى هذه اللحظة متحمس للجلوس ، ولكن رحمتى بلغت من الاتساع حدا أعجز معه عن قياس مداها برجلى (يفرج مابين رجليه) سيادة رئيس الوزراء ، تناول المقياس لكى تذكرنى به فيما بعد . فاليريو ، اصحب السادة الى الباب !

فاليريو : جرس الباب ؟ هل أعلق على سيادة رئيس الوزراء جرسا ؟ هل أسوق السادة كما لو كانوا يسيرون على أربع ؟

ليونس : أيها الوغد ، ما أنت الا تلاعب سيء بالألفاظ : ليس لك أب ولا أم ، فقد رقدت الحروف الخمسة مع بعضها فأنجبتك .

فاليريو : وأنت ، أيها الأمير ، كتاب بلا حروف ، وليس فيه الا الشرط . تعالوا أيها السادة ! ان كلمات مثل « تعالى » و « ادخل » و «اخرج» واصعد وانزل أمرها محزن . فاذا أردت أن يكون لك دخل ، فلابد لك أن تسرق ، واذا أردت أن تصعد فليس أمامك ألا أن تشنق نفسك ، أما المنزل فلا يعثر عليه الانسان الا اذا استقر فى قبره ، وأما المخرج فهو مضمون فى كل لحظة كلما لجأت الى النكتة ، ولم يكن لديك شىء تقوله كما أفعل الآن على سبيل المثال ، وكما فعلتم قبل أن تقولوا كلمة واحدة . لقد دخلتم فى اتفاق ؛ أنتم مطالبون الآن بالبحث عن طريقة للخروج ؛
(ينصرف الوزراء وفاليريو)

ليونس : ما أحقر أن أجعل من نفسى فارسا على حساب هؤلاء المساكين ! ولكن ماذا أفعل اذا كانت الحقارة لاتخلو من المتعة ؟ أتزوج ؟ معنى هذا

أن أفرغ بئرا فى جوفى . آه ياشاندى ، ياشاندى العجوز منذا الذى أهدانى ساعتك ؟ (يعود فاليريو) آه يافاليريو ، هل سمعت ؟

فاليريو : يظهر أنك ستصبح ملكا . هذا شيء مضحك . فى استطاعة الانسان عندئذ أن يخرج للنزهة طول النهار ، ويتلف قبعات الناس من كثرة مايرفعونها لتحيته . فى استطاعة الانسان أن يفصل من الناس المحترمين عساكر محترمين ، حتى يصبح كل شيء طبيعيا تاما ، ويستطيع الانسان كذلك أن يحول السترات السوداء وأربطة العنق البيضاء الى خدم مطيعين للدولة. وعندما يموت ، تسير كل الرءوس الصلعاء حزينة فى جنازته ، وتتفتت حبال أجراس الكنائس كالخيوط الدقيقة من كثرة الشد والجذب . أليس هذا كله أمرا مسليا ؟

ليونس : فاليريو ، فاليريو ! لا بد أن نعمل شيئا ! انصحنى !

فاليريو : آخ ! العلم ! العلم ! نريد أن نصبح علماء ! قبلى أو بعدى ؟

ليونس : القبلى يجب أن نتعلمه من أبى ؛ ولكن كل

شيء يبدأ بالبعدى ، كما فى الحكايات القديمة :
كان ياما كان ...

فاليريو : اذن فلنكن أبطالا ! (يمشى هنا وهناك مشية عسكرية وهو يدق ويطبل) . تروم ! تروم !

ليونس : ولكن البطولة تتحالل ؛ تسكر بأردأ الخمور ، وتصاب بالحمى التى تصيب نزلاء مستشفيات الميدان ولا يمكنها أن تبقى بدون الضباط والأنفار . ارجع لعقلك وانس أحلام الأسكندر ونابليون !

فاليريو : فهل نصبح اذن عباقرة ؟ !

ليونس : ان بلبل الشعر يتغنى طوال النهار فوق رءوسنا ولكن أرق مافيه يذهب للشيطان ، قبل أن نتمكن من انتزاع ريشه وغمسه فى الحبر أو فى الألوان .

فاليريو : اذن فلنصبح أعضاء نافعين فى المجتمع البشرى ؟!

ليونس : أحب الى من هذا أن أتخلى عن صفتى كانسان .

فاليريو : لم يبق أمامنا الا أن نذهب للشيطان !

ليونس : آخ ! ليس الشيطان سوى الوجه المضاد الذى نفهم منه أن هناك موجودا آخر يقابله فى

السماء . (قافزا) آه ! فاليريو ، فاليريو ،
الآن قد وجدتها ! ألا تشعر بالأنسام تهب من
الجنوب ؟ ألا تحس كيف يتموج الأثير الأزرق
العميق الملتهب صعودا وهبوطا ، وكيف
يسطع النور من الأرض الذهبية المشمسة ، ومن
البحر المالح المقدس ، ومن الأعمدة والأجساد
المرمرية ؟ ان «بان» العظيم نائم ، والأبطال
الشجعان يحلمون فى الظل وعلى خرير الأمواج
العميقة بالساحر القديم «فيرجيل» ، وبأنغام
الطبول ورقصة التارنتللا ، وبالليالى العميقة
المجنونة الزاخرة بالأقنعة والمشاعل وألحان القيثار .
فاليريو ، لنكن شحاذين فى نابولى ، لنذهب
الى ايطاليا !.

المشهد الرابع

حديقة

(الأميرة لينا فى زينة العروس . المربية)

: نعم ، الآن ! ها هو كل شىء قد تم . عشت

عمرى كله لا أفكر فى شىء . مر دون أن أحس بشىء . وفجأة وقف اليوم أمامى منتصب القامة . ها هو الاكليل فى شعرى ، والأجراس ، الأجراس ! (تميل بجسدها الى الوراء وتغمض عينيها) . أنظرى ، أننى أتمنى الآن لو أن العشب ينمو فوقى ، والنحل يطن حولى ، انظرى الى . أنا الآن فى ثياب العرس والأوراق الخضراء مشبوكة فى شعرى . أليست هناك أغنية قديمة تقول :

أريد أن أنام
فى ساحة الكنيسة
كأننى وليد
فى مهده السعيد .

المربية : ياطفلتى المسكينة ، كم تبدين شاحبة الوجه تحت بريق هذه الجواهر اللامعة !

لنا : يا الهى ! اننى استطيع أن أحب ، ولم لا ؟ ان الانسان يسير وحيداً فى حياته ، يتحسس اليد التى تمسك يده الى أن تأتى المغسلة فتفرق بينهما وتشبك يدى كل منهما على صدره ،

ولكن لم يحاولون أن يدقوا مسمارا فى يدين
لم يبحثا عن بعضهما ؟ وماذا جنت يدى
المسكينة ؟ (تخلع خاتما من اصبعها) هذا
الخاتم يلسعنى كالحية .

المربية : ولكن – يقال عنه انه دون كارلوس حقيقى !

لينا : ولكن رجلا .

المربية : ماذا ؟

لينا : لا يحبه القلب . (تنهض واقفة)أف ! انى
أخجل من نفسى . غدا يتبخر العطر وينطفىء
البريق . هل أنا اذن كالنبع المسكين الوحيد
الذى كتب عليه أن يعكس كل وجه ينحنى
على سطحه الساكن ؟ ان الزهور تفتح براعمها
أو تغلقها كما تريد لشمس الصباح أو لريح
المساء . فهل تكون ابنة الملك أقل من زهرة ؟

المربية : (باكية) ياملاكى المحبوب ، أنت فى الحقيقة
كبش الفداء !

لينا : أجل ، والكاهن يرفع السكين فى يده ..—
ياربى ! ياربى ! هل صحيح أننا نخلص أنفسنا
بآلامنا ؟ هل صحيح أن العالم مسيح مصلوب ،
وأن الشمس هى تاج الشوك حول رأسه ،

والنجوم هى المسامير والسهام فى قدميه وجنبيه ؟

المربية : ياطفلتى ! ياطفلتى ! لا أستطيع أن أراك على هذه الحال . لايمكنك أن تستمرى على هذا . أنت تقتلين نفسك . — ربما — من يدرى ؟ ان شيئا كهذا يدور فى رأسى . نريد أن نرى .. تعالى !

(تصحب الأميرة خارجة)

الفصل الثانى

«كيف رن صوت
فى أعمق أعماقى
وابتلع مرة واحدة
كل ذكرياتى » .
أدالبيز فون كاميسو .

المشهد الاول

محل رحب — نزل فى الجانب الخلفى
(يظهر ليونس ومعه فاليريو الذى يحمل حملا على ظهره)

فاليريو : (لاهث الأنفاس) شرفا يا أمير ، العالم بناء هائل واسع الأرجاء .

ليونس : لاتبالغ ! لاتبالغ ! اننى لا أجسر أن أمد

ذراعى ، وكأننى حبيس غرفة ضيقة صنعت جدرانها من المرايا ، خوفا من أن أصطدم بها فتتفتت التماثيل الجميلة وتنكسر على الأرض وأقف أمام الجدار العارى وجها لوجه .

فاليريو : لقد ضعت .

ليونس : لن يحس بالضياع الا من يجدك .

فاليريو : عما قريب سأضع نفسى فى ظل ظلى .

ليونس : سوف تذوب ذوبانا تاما فى الشمس . هل ترى هذه السحابة الجميلة فى السماء ؟ انها على الأقل فى ربع حجمك . انها تطل فى ارتياح تام على المواد الغليظة التى جبلت منها .

فاليريو : لن تستطيع السحابة أن تمس رأسك بأذى ، لو أمكن التحكم فيها بحيث تسقط قطرة فقطرة فوقها — خاطر بديع ! ها نحن قد جبنا عددا من الامارات يزيد على عدد أصابع اليدين ، ونصفه من الدوقات وبعض الممالك ، وكل ذلك فى أقصى سرعة وفى نصف يوم — ولماذا ؟ لأنه فرض عليك أن تصبح ملكا وأن تتزوج أميرة حسناء ! وما زلت تعيش فى هذه الحال ؟ . اننى لا أفهم زهدك وصدودك .

ولا أفهم لماذا لم تشرب زرنيخا ، ولا لماذا لم تقف على سلم برج الكنيسة وتصوب رصاصة الى رأسك لكى لاتخطئها .

ليونس : ولكن المثل العليا يافاليريو ! انى أحمل فى روحى المثل الأعلى لامرأة ولابد لى أن أبحث عنها . انها جميلة جمالا لانهاية له ، كما أنها غبية غباء لاحد له . ان جمالها كسير ومؤثر كأنها مولود جديد . ذلك هو التضاد الممتع : هذه العيون السماوية الغبية ، وهذا الفم الالهى الساذج ، وهذا المنظر الجاذ الاغريقى ذو الأنف التى تشبه أنوف الأغنام ، وهذا الموت الروحانى فى هذا الجسد الخالى من الروح.

فاليريو : ياللشيطان ! ها نحن مرة أخرى على الحدود ! هذه بلد تشبه البصلة : لاترى العين فيها الا القشور أو علب الكبريت التى وضع بعضها فى بعض : العلب الكبيرة ليس فيها الا علب ، والصغيرة لاتحتوى على شىء . (يقذف بحمله على الأرض) هل قدر لهذا الحمل أن يصبح شاهد قبرى ؟ أنظر أيها الأمير — أنا الآن أتفلسف — هذه الصورة للحياة الانسانية :

انني أجر هذا الحمل بقدمين داميتين خلال
الصقيع وتحت لهيب الشمس ، لأنني أريد
فى المساء أن ألبس قميصا نظيفا ، وعندما يأتى
المساء أخيرا ، تكون جبهتى قد ملأتها التجاعيد ،
ووجنتى قد غارت ، وعينى أظلمت ،
ولا يتبقى لدى من الوقت الا ما يكفى لكى
ألبس قميصى أو كفنى . ولو أننى كنت
حاذقا لرفعت حملى من مكانه وبعته فى أول
حانة تصادفنى ، ولشربت بثمنه ونمت فى
الظل ، حتى يحل المساء ، ولوفرت على نفسى
العرق الذى تصبب منى ، والأورام (الكاللو)
التى أوجعت قدمى . والآن ، أيها الأمير ،
يأتى دور العمل والتطبيق : نريد الآن ، بدافع
الحياء الخالص ، أن نكسو الانسان من الداخل
أيضا ونلبسه سترة وسروالا (يتجهان ناحية
النزل) آه ، ياخرجى العزيز ، ماهذه الرائحة
الشهية ، التى تفوح من النبيذ واللحم المشوى ؟!
آه ياسروالى العزيز ، ما أحلى أن تمد الآن
جذورك فى الأرض وتخضر وتزدهر ! وأن
تتدلى عناقيد العنب الطويلة الثقيلة فى فمى ،

ويتخمر عصير العنب تحت العصارة (ينصرفان).

(الأميرة لينا ومربيتها) .

المربية : لابد أنه يوم ساحر الفتنة ، فالشمس لاتريد أن تغيب ، وقد مر زمن لا آخر له منذ أن هربنا معا .

لينـــا : لا تبالغي يا حبيبتي ، فلم يكد يذبل الورد الذى قطفته ساعة الوداع ، عندما خرجنا من الحديقة .

المرّبيـــة : وأين سنستريح ؟ إننا لم نعثر على أىّ شيء حتى الآن . ولا أرى ديراً ، ولا رهبان ، ولا رعاة أغنـــام .

لينـــا : لقد سرحنا بأحلامنا ونحن نقرأ خلف أسوار الحديقة ، بين أشجار المرّ والدانى .

المربيـــة أف ! العالم فظيع ! ولم نعثر حتى الآن على أى أثر لابن ملك تائه .

لينـــا : العالم رائع الجمال . ومتسع غاية الاتساع ! بودّى لو ظللت أسير ليل نهار . ما من شيء يتحرك . ظل وردة حمراء يمرح فوق الأعشاب . والجبال البعيدة ترقد فوق الأرض كأنها سحب نائمة .

المربيـة : ياسيدى يسوع ! ماذا عساى أقول ؟ ومع ذلك فهى فى غاية الرقةو الأنوثة ! لقد زهدت فى كل شيء . وهربت كما هربت القديسة أوتيليا . ولكن لابد أن نبحث عن مأوى فقد أوشك المساء أن يحلّ علينا !

نينـا : نعم . ان النباتات تضمّ أوراقها لتنام ، وأشعة الشمس تسترخى فوق أطراف الأعشاب — كالفراشات المتعبة .

المشهد الثانى

(النزل فوق مرتفع من الأرض يطل على نهر . منظر شاسع — حديقة أمام المنزل . فاليريوو ليونس)

فاليريو : والآن . يا أميرى ، ما رأيك فى الشراب اللذيذ الذى ينضح من سروالك ؟ ألا تبتلع حذاءك فى غاية السهولة ؟

ليونس : هل ترى الأشجار القديمة ، والسياج، والزهور ؟ لكل شيء منها حكاية . حكاية جميلة ، غنية بالأسرار

هل ترى الوجوه العجوز الودودة فى ظل تكعيبة العنب أمام الباب ؟ وكيف يجلسون هناك أيديهم متشابكة وفى قلوبهم خوف من أنهم قد شاخوا والعالم مازال شاباً ؟ آه يافاليريو ! وأنا فى هذا الشباب والعالم بهذه الشيخوخة ! فى بعض الأحيان يتملكنى الذعر فأتمنى لو أجلس فى ركن بعيد وأذرف دموعاً ساخنة رثاء لنفسى .

فاليريو : (يناوله كأساً) خذ هذه الكأس ، كأس الغوّاص ، وغص فى بحر الخمر ، حتى تطفو اللآلىء فوقك . أنظر كيف ترف الجنيّات حول كئوس زهرات النبيذ ، وفى أقدامها أحذية ذهبية ، وكيف تضرب الصاجات .

ليونس : (قافزاً) تعال يافاليريو ، يجب أن نعمل شيئاً ، نعمل شيئاً ! نريد أن نفكر فى مسائل عميقة ؛ نريد أن نبحث كيف يحدث للكرسى أن يقف على ثلاثة أرجل بدلا من اثنين . تعال ، نريد أن نشرّح نملا ، ونحصى ذرات الرماد ! سوف أجعل من ذلك هواية الأمراء وسوف أبتهج كالأطفال يلعبون بالشخاشيخ ولن — أهدأ إلا إذا جمعت الريش وضربته على السقف . مازالت عندى جرعة حماس لم أستهلكها بعد ؛ ولكننى

بعد أن اسوّى الطعام سأحتاج إلى زمن لانهاية له حتى أعثر على ملعقة آكله بها ، وعلى هذه الملعقة يتوقف كل شىء .

فاليريو : أرجو بيبا موس ! إذن فلنشرب ! هذه الزجاجة ليست حبيبة ولا فكرة . إنها لا تعرف آلام الوضع ، ولا تصبح مملّة ، ولا تخون ، بل تظلّ هى نفسها لا تتغير من أول قطرة إلى آخر قطره . ما عليك إلا أن تفضّ غطاءها ، وستفور فى وجهك كل الأحلام الناعسة فيها .

ليونس : يا إلهى ! أعدك أن أجعل نصف حياتى صلاة لك لو أننى وهبت عوداً واحداً من القش أركب عليه كما أركب على ظهر جواد رائع ، حتى أرقد أنا نفسى فوق القش . — يا لهذا المساء الفظيع ! كل شىء ساكن على الأرض ، وفى السماء تركض السحب وتغير أشكالها ، وضوء الشمس يظهر ثم يغيب . أنظر إلى هذه الأشكال الغريبة التى تطارد بعضها فى السماء . أنظر الظلال الطويلة البيضاء ذات الأقدام النحيلة المفزعة ترفّ رفيف الوطاويط ! وكل شىء هناك يلهث ويضطرب ، وهنا لا تتحرك ورقة ولاعود . الأرض تكوّمت على نفسها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الأشباح .

فاليريو : لا أدرى ماذا تريد ، فأنا أحسّ بالبهجة تغمرنى .
إن الشمس تبدو كأنها درع معلّق على باب فندق ،
والسحب المتوهجة التى تغطيها كأنها اللافتة المكتوبة
فوقه : « فندق الشمس الذهبية . » والأرض والماء
الذى يسيل عليها كأنهما مائدة اندلقت الخمر فوقها
ونحن نرقد عليها كأوراق اللعب ، التى يلعب بها الله
مع الشيطان ليذودا السأم عنهما . أنت الملك ، وأنا
الولد ، ولا ينقص إلا البنت . البنت الجميلة ذات
القلب الناعم على الصدر ، والسنابل الرائعة ، يتدلى
أنفها الطويل على نحو يثير العواطف (تظهر المربيّة
والأميرة) و ... يا الهى ! هاهى بنفسها ! ولكنها
ليست سنبلة بل تنشيقة دخان ، وأنفها ليس أنفاً ،
بل خرطوم (للمربيّة) : لماذا تسرين ، يا سيدتى
المبجّلة ، بهذه السرعة كلها ، حتّى أن الإنسان ليرى
عضلات ساقك لغاية شرائط جوربك المحترم ؟ !

المربيّة : (تظل واقفة وقد ظهرت عليها امارات الغضب
الشديد) : ولماذا يا سيدى المحترم تفتح فمك على
آخره فلا يرى الإنسان أمامه إلا فوهة واسعة ؟

لينـــا : (للمربية) : حبيبتى ، هل مازال الطريق أمامنا طويلا؟

ليونس : (حالما) : آه ، كل الطرق طويلة . دقات ساعة الموتى

فى صدورنا بطيئة ، وكل قطرة دم تقيس الزمن ، وحياتنا حمّى تزحف فى أعضائنا . الأقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا . . .

لينـــا : (التى تصغى إليه متفكرة) : والأعين المتعبة تجد كل شعاع قاسياً ، والشفاه المتعبة كل نسمة ثقيلة (مبتسمة) والآذان المتعبة كل كلمة مملّة (تدخل مع المربية إلى المنزل) .

ليونس : آه يا فاليريو العزيز ! ألم يكن فى استطاعتى أيضاً أن أقول : ألم يكن لهذا كله والغابة من أدغال الرين والأزهار المكوّمة فوق حذائى .. ؟ (*) . أعتقد أننى قلت ما قلته وأنا فى منتهى الحزن . الحمد لله ، أننى أوشكت أن أضع (**) حزنى ! الهواء لم يعد ناصعاً وبارداً ، والسماء تنحنى متوهجة فوقى ، وقطرات ثقيلة تتساقط علىّ ... آه من هذا الصوت : ألم يزل الطريق طويلا ؟ . أصوات كثيرة تتحدث فوق الأرض ، ويخيّل للانسان أنها تتحدث عن أشياء أخرى ، ولكننى فهمت صوتها . انه يرفّ فوقى كالروح ، عندما رفّ فوق الماء ، قبل أن يكون النور .

---

* هذه العبارة ناقصة فى الاصل ..

** الوضع هنا بمعنى الولادة .

باللتخمر فى أعماق ذاتى . ياللوجود الذى يولد فى نفسى ، وما أعذب هذا الصوت الذى ينساب فى المكان ! — ألم يزل الطريق طويلا ؟ » (يخرج) ..

فالبريو : لا ، إن الطريق إلى مستشفى المجانين ليس طويلا ؛ إن من السهل العثور عليه ، أنا أعرف كل الدروب المؤدية إليه ، وكل الطرق المجاورة له والشوارع — المحيطة به . إننى أراه الآن أمامى يسير على الطريق العريض الموّصل إليه ، فى يوم من أيام الشتاء الباردة ، حاملا قبعته تحت أبطه ، وأراه أمامى واقفاً فى الظلال الطويلة تحت الأشجار العارية يروّح عن نفسه بمنديله . إنه مجنون ! (يتبعه) .

المشهد الثالث

(حجرة)

(لينا — المربية)

المربية : لا تشغلى نفسك بهذا الرجل !

لينـــا : كان يبدو عجوزاً بين خصلات شعره الشقراء . الربيع على الخدين والشتاء فى القلب ! هذا شيء محزن .

الجسد المتعب يجد الفراش الذى ينام فيه فى كل مكان ، أما الروح المتعب ، فأين يجد المكان الذى يستريح فيه ؟ ان فكرة فظيعة تخطر على بالى : يخيّل إلىّ أن هناك نوعاً من الناس يحسّون بالشقاء ، بالتعاسة التى لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بأنهم موجودون .

(تنهض واقفة)

المربية : إلى أين يا ابنتى ؟

لينـــا : أريد أن أنزل إلى الحديقة ..

المربية : ولكن ...

لينـــا : ولكن ماذا يا أمى ؟ تعرفين أنه كان ينبغى أن يضعونى داخل زهرية مكسورة من الزجاج المكسور . إننى أحتاج إلى الندى ونسيم الليل كما يحتاج الورد إليهما . هل تسمعين أنغام المساء المنسجمة ؟ هل تسمعين الصراصير تغنى للنهار وبنفسجات الليل يهدهدنه بعطرهن لينام ؟ ! لا أستطيع أن أبقى فى الحجرة . أحسّ أن الجدران ستنطبق فوقى .

المشهد الرابع

ـ الحديقة ـ ليل وضوء قمر ـ

(ترى لينا جالسة على العشب)

فاليريو : (من بعيد) : الطبيعة جميلة ، وكانت تكون أجمل لو لم يوجد ناموس ولو كانت الأسرّة أنظف مما هي عليه ولم تدق ساعات الموت على الجدران . فى الداخل يغط الناس فى النوم ، وفى الخارج تنقنق الضفادع . فى الداخل تصفر الصراصير ، وفى الخارج تطن جنادب الحقل . أيها العشب النضير ، هذا قرار خطير ! (*)

(يرقد على العشب)

ليونس : (يظهر) : أيها الليل الشافى كالبلسم ، كمثل أول ليلة هبطت على الفردوس !

(يلاحظ الأميرة ويقترب منها فى هدوء) .

لينـا : (تكلم نفسها) : بعوضة العشب وشوشت فى الحلم ـ

---

* يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى عشب Rasen وغاضب Rasend وقد ترجمت العبارة بتصرف .

الليل ينام نوماً عميقاً ، خده يزداد شحوباً ، ونفسه سكوناً . القمر يشبه طفلاناعساً ، تساقطت خصلات شعره الذهبية فوق وجهه الحبيب . — آه ! إن نومه موت . ما أجمل الملاك الميت الذى يرقد على مخدّته المظلمة والنجوم تشتعل من حوله كالشموع ! الطفل المسكين ! إنه حزين ، ميت ووحيد .

ليونس : انهضى فى ثوبك الأبيض وتجوّلى فى الليل خلف جثته وغنى له أغنية الموت !

لينـــا : من الذى يتكلّم ؟

ليونس : حلم .

لينـــا : الأحلام سعيدة .

ليونس : إذن فاحلمى أنك سعيدة واجعلينى حلمك السعيد .

لينـــا : الموت أسعد الأحلام ..

ليونس : إذن . فاجعلينى ملاك موتك ! دعى شفتى تهبطان على عينيك كأنهما رفيف جناحيه . (يقبلها) أيتها الجثة الجميلة . أنت ترقدين فاتنة على كفن الليل الأسود ، فتجعلين الطبيعة تكره الحياة وتعشق الموت .

لينـــا : لا ، اتركنى ! (تقفز واقفة وتبتعد بسرعة) .

ليونس : هذا كثير ! هذا كثير ! وجودى كله تجمّع فى هذه

اللحظة الوحيدة . الآن مت ! مستحيل أن تطمع في أكثر من هذا . ما أبدع الخليقة التي تطالعني خارجة من ظلمة العماء ، منتعشة الأنفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الأرض وعاء من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويطفو على حوافيها ، ويلمع سنى النجوم المتلألئة فوقها . هذه القطرة من السعادة تحيلني إلى وعاء شهيّ . أسقط هنا أيها الكأس المقدس ! (يريد أن يلقي بنفسه في النهر) .

فالبريو : (يقفز ويمسك به) : قف يا صاحب السمو والصفاء !

ليونس : دعني !

فالبريو : بمجرّد أن تعود إلى اتزانك وتعدني بأن تدع الماء !

ليونس : أيها الغبي !

فالبريو : ألم تتخلّص يا صاحب السموّ بعد من رومانتيكيتك فتحاول أن تقذف بالكأس التي شربت منها على صحة حبيبتك ؟

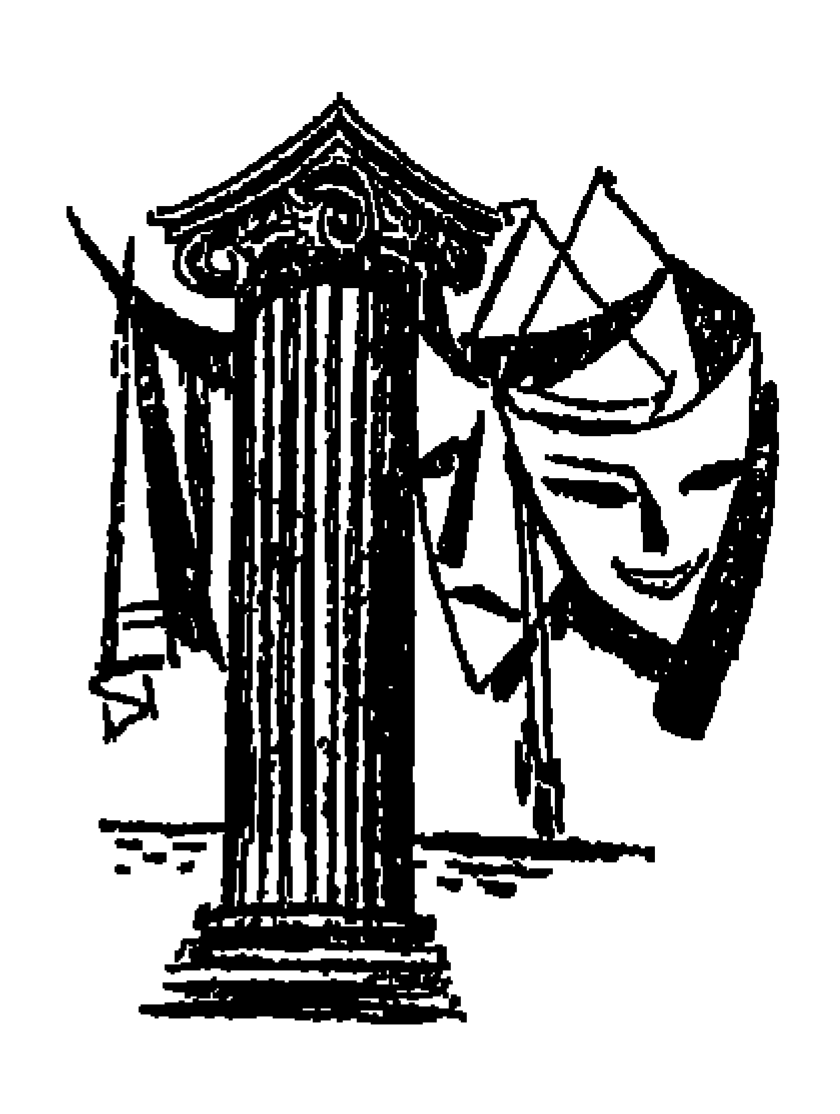
ليونس : يبدو ان الحق معك !

فالبريو : عز نفسك ! إن لم تنم اليوم تحت العشب فحاول على الأقلّ أن تنام فوقه . ان السعي إلى الفراش شبيه بمحاولة الاقدام على الانتحار . الانسان يرقد فوق القش كالموتى وتلسعه البراغيث كالأحياء .

ليونس : على رأيك (يرقد على العشب) لقد أفسدت علىّ أجمل انتحار ! لن أجد فى حياتى لحظة أنسب من هذه اللحظة ، ولا جواً أبدع من هذا الجوّ . الآن تعكر مزاجي. أفسدت كل شيء بسترتك الصفراء وسراويلك السماوية الزرقاء . — فلتمنحنى السماء نوماً صحياً عميقاً !

فاليريو : آمين ! — أما أنا فقد أنقذت حياة بشرية من الموت ، وسوف يساعدنى ضميرى المرتاح على أن أدفىء الليلة جسدي .

ليونس : نوماً هنيئاً . يا فاليريو !



الفصل الثالث

المشهد الاول

ليونس – فاليريو

فاليريو : تتزوج ؟ متى صممّتم يا صاحب السمّو على الدخول في التقويم الأبديّ ؟

ليونس : هل تعلم أيضاً يافاليريو أن أقلّ الناس شأناً يبلغ من العظمة حداً يجعل الحياة أقصر بكثير من أن تستطيع أن تحبه ؟ ومع ذلك ففي وسعي أن أغبط صنفاً من الناس يتوهمون أنه ما من شيء جميل أو مقدس إلاوهم ملزمون بأن يزيدوه جمالا وقداسة . ان فى مثل هذا الغرور المحبوب نوعاً من المتعة . فلماذا أحرمهم منه ؟

فاليريو : شعور انسانيّ جداً يعبر عن حبك للوحوش ! ولكن هل تعرف هي أيضاً من أنت ؟

ليونس : إنها لا تعرف إلا أنها تحبني .

فاليريو : وهل تعرفون سمّوكم من هي . ؟

ليونس : أحمق غبيّ ! اسأل القرنفلة إذن أو اسأل لؤلؤة الندى عن اسمها .

فاليريو : معنى هذا أنها شيء له وجود على كل حال ، إن لم يكن هذا التعبير خالياً من الذوق أو يوحى بطعم البطاقات الشخصية ! ولكن كيف يتمّ هذا ؟ — هم — يا أمير ، هل أصبح وزيراً لو ارتبطت اليوم برباط الزواج المبارك أمام أبيك مع تلك التى لا اسم لها ولا يمكن التعبير عنها ؟ هل تعدنى ؟

ليونس : أعدك !

فاليريو : الشيطان المسكين فاليريو يحيّ صاحب السعادة السيد الوزير فاليريو من وادى الفالير ! — ماذا يريد الغلام ؟ إننى لا أعرفه . أغرب عن وجهى ، أيها الوقح ! (ينصرف مسرعاً يتبعه ليونس)

المشهد الثانى

« ساحة واسعة أمام قصر الملك بيتر »

(رئيس مجلس المدينة . المعلم — فلاحون فى ثياب يوم الأحد ، فى أيديهم فروع من شجر التنوب)

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟

المعلّم : هم صابرون على الرغم من سوء الحال ، متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال ، يصبون الخمر فى جوفهم ، ولولا ذلك لكان تماسكهم فى هذا الحرّ الشديد من المحال . تشجعوا أيها الناس . مدّوا أيديكم بفروع من أشجار التنوب حتّى يظن من يراكم أنكم غابة من أشجار التنوب وأن أنوفكم المحمرة حبات من الفراولة وقبعاتكم لحم مشوىّ وأن ضوء القمر يختفى بين سراويلكم المصنوعة من جلد الغزال . واعلموا أن على من يقف منكم فى المؤخرة أن يجرى باستمرار ليضع نفسه أمام من يقف فى المقدمة ، حتّى يبدو كأن عددكم قد تضاعف .

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلّم ، الظاهر أنك أوشكت أن تفيق من سكرتك .

المعلّم : بالطبع ، فأنا من الفوقان لا أكاد أستطيع الوقوف على قدمى .

رئيس مجلس المدينة : لاحظوا أيها الناس أنه قد نصّ فى البرنامج على ما يلى : على جميع أفراد الرعية أن يرتدوا ثياباً بوجوه نظيفة ، وأن يقفوا على طول الطريق الزراعىّ

بوجوه راضية وبطون شبعانة . لاحظوا هذا ولا تجلبوا علينا العار !

المعلم : تمسكوا بالصبر والفضيلة ! لا تهرشوا خلف آذانكم ولا تضعوا أصابعكم فى أنوفكم عند مرور موكب صاحبى السموّ العروسين ، وأظهروا التأثر المناسب والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة . أعترفوا بما فعلته السلطات من أجلكم : لقد وضعوكم فى صفوف مستقيمةحتى تهب الرياح عليكم من المطبخ وتشمـّوا مرة واحدة فى حياتكم رائحة اللحم المشوىّ . هل تذكرون الدرس الذى علـّمتكم إياه ؟ هه ؟ يا ...

الفلاحون : يا ...

المعلـّم : عيش !

الفلاحون : عيش !

المعلـّم : يعيش !

الفلاحون : يعيش !

المعلـّم : هكذا ترى يا سيادة الرئيس أن مستوى الذكاء فى صعود . سنقوم الليلة أيضاً بإعداد رقصة شفافة مستعينين بالثقوب التى تملأ ستراتنا وسراويلنا ، وسنتلاكم ونتطح بعضنا بالأشرطة التى تزيّن قبعاتنا .

المشهد الثالث

(قاعة كبيرة . رجال وسيدات فى أحسن زينة ، وفى صفوف مرتبة بعناية .)

(يظهر رئيس التشريفات مع بعض الخدم فى مقدمة المسرح .)

رئيس التشريفات : إنها مصيبة ! كل شىء ضاع . اللحم المشوىّ انكمش . التهانى بالزفاف لم تصل بعد . الفيونكات تقتل أنفسها كآذان الخنازير الحزينة . الفلاحون نمت أظافرهم ولحاهم من جديد . العساكر طالت شعورهم . ومن اثنتى عشرة عذراء لا توجد واحدة لا تفضل الوضع الأفقى على الوضع العمودى .

الخادم الأول : إنهن يبدون فى ثيابهن البيضاء كالأرانب المتعبة ، وشاعر البلاط يزوم حولهن كأنه خنزير بحرىّ مهموم . السادة الضباط فقدوا اتزانهم ، وسيدات البلاط يقفن هناك كأنهن فساتين من الصوف معلّقة على شمّاعات ؛ الملح يتبلور فى عقودهن .

الخادم الثانى : لقد أرحن نفوسهن على الأقل ؛ فلا يستطيع أحد أن يقول انهن يحملن شيئاً على أكتافهن .

وإذا لم يكن صريحات القلوب ، فهن على الأقل مفتوحات حتى أعماق القلوب .. (*)

رئيس التشريفات : نعم ، إنهن أوراق جيدة من دولة الترك : ترى خلالها الدردنيل وبحر المرمر . اذهبوا ، أيها الأوغاد ! إلى النوافذ ! ها هو صاحب الجلالة قد حضر ! (يدخل الملك بيتر والوزراء) .

بيتر : إذن . فقد اختفت الأميرة أيضاً : ألم يعثر أحد على أثر لولى عهدنا المحبوب ؟ هل نفذت أوامرى ؟ هل الحدود مراقبة ؟

رئيس التشريفات : أجل يا صاحب الجلالة . إن التطلع من هذه القاعة يتيح لنا أن نراقبها مراقبة شديدة . (للخادم الأول) ماذا رأيت ؟

الخادم الأول : كلبا يبحث عن سيدة ، وقد دخل الآن حدود المملكة .

رئيس التشريفات : (للخادم الثانى) : وأنت ؟

الخادم الثانى : أرى شخصاً يتنزه على الحدود الشمالية ، ولكن

---

* يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى Offenherzig اى صريح و offen bis zum Herzen اى مفتوح الى القلب ، مما يصعب نقله نقلا يحفظ الاشارة الكامنة وراءه، وهى اشارة جنسية كما لا يخفى على القارىء .

ليس هو الأمير ، والا لكنت تعرّفت عليه .

رئيس التشريفات : وأنت .

الخادم الثالث : معذرة — لا شيء

رئيس التشريفات : هذا قليل جداً . وأنت ؟

الخادم الرابع : لا شيء كذلك .

رئيس التشريفات : هذا أيضاً قليل جداً .

بيتر : ولكن ألم أصدر أيها الوزراء قرارى بأن تفرح جلالتى الملكية فى هذا اليوم وأن يحتفل فيه بالزفاف ؟ ألم يكن هذا هو قرارى الأكيد ؟

رئيس التشريفات : أجل يا صاحب الجلالة ، هذا هو ما أثبت فى المحاضر الرسمية . وأعلن على الرعية .

بيتر : ألن تكون هذه إهانة لى ، لو أننى لم أنفذ قرارى؟

رئيس التشريفات : لو كانت هناك طريقة أخرى تهينون بها جلالتكم ، ففى استطاعتكم فى هذه الحالة أن تهينوها .

بيتر : ألم أعد وعدى الملكىّ ؟ — نعم ، سوف أنفذ القرار الذى صممت عليه فى الحال ، سوف أدخل الفرح على نفسى . (يفرك يديه) آه ! أنا فى منتهى الفرح !

رئيس الوزراء : نحن جميعاً نشارك جلالتكم فى مشاعركم ، بقدر ما تستطيعه الرعية وما يليق بها .

بيتر : أوه ! لست أدرى ماذا أفعل من الفرح ! سوف آمر بصنع معاطف حمراء لو صفائى ، سوف أرقى بعض الجنود إلى ضباط ، سوف أسمح لرعيتى ... — ولكن ، ولكن ، الزفاف ؟ ألم ينّص الجزء الأخير من القرار على الاحتفال بالزفاف ؟

رئيس الوزراء : نعم يا صاحب الجلالة .

بيتر : ولكن إذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ؟

رئيس الوزراء : نعم ، إذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ، إذن ... إذن ...

بيتر : إذن ، إذن ؟

رئيس الوزراء : إذن لا يستطيعان أن يتزوجا .

بيتر : قف عندك ! هل النتيجة منطقية ؟ إذا — إذن — صحيح ! ولكن وعدى ، وعدى الملكىّ !

رئيس الوزراء : عزّ نفسك يا صاحب الجلالة بجلالات أخرى !

إن الوعد الملكيّ شيء — شيء — شيء —
لا يدلّ على أيّ شيء .

بيتر (للخدم) : ألا تبصرون شيئاً ؟ .

الخــدم : لا شيء يا صاحب الجلالة ، لا شيء .

بيتر : وأنا الذى قررت أن أدخل السرور على نفسى !
أردت أن أبدأ مع دقة الساعة الثانية عشرة ،
وأن أفرح اثنتى عشرة ساعة كاملة — سأكتئب
الآن اكتئاباً شديداً .

رئيس الوزراء : ستصدر الأوامر إلى الرعية كلها بأن تشارك
جلالتك فى شعوركم .

رئيس التشريفات : ومن لا يحمل منهم منديلا سيمنع من البكاء ،
وذلك للمحافظة على الفضيلة .

الخادم الأول : انتباه ! إننى ألمح شيئاً ! إنه يشبه أن يكون
الصدر ، أو الأنف ، أما الباقى فلم يعبر
الحدود بعد ، وها أنا أرى رجلا ، ثم شخصين
من الجنسين .

رئيس التشريفات : فى أىّ اتجاه يسيرون ؟ .

الخادم الأول : إنهم يقتربون. يتجهون ناحية القصر. هاهم ؟.
(يظهر فاليريو وليونس والمربية والأميرة

يحملون أقنعة على وجوههم)

بيتر : من أنتم ؟ .

فالبريو : ومن أين لى أن أعرف ؟ (ينزع عن وجهه قناعاً بعد قناع) هل أنا هذا ، أو هذا ؟ أو هذا ؟ حقاً ، لقد بدأت أخاف من أن أنزع القشــور والأوراق عن نفسى قشرة قشرة وورقة ورقة .

بيتر (مرتبكا) : ولكن — لابدّ أن تكونوا شيئاً على كل حال ! .

فالبريو : مادمت قد أصدرت أوامرك يا صاحب الجلالة ! ولكن ، أيها السادة ، علّقوا المرايا حولكم ، واخفوا أزراركم اللامعة قليلا ، ولا تنظروا إلىّ هكذا حتى لا تنعكس صورتى فى عيونكم ، وإلا فلن أعرف فى الحقيقة من أنا .

بيتر : هذا الرجل يربكنى ، يحيّرنى ! أنا فى غاية الاضطراب ! .

فالبريو : الحقيقة أننى أردت أن أعلن على الجمع الراقى المحترم حضور الآلتين المشهورتين فى العالم كله ، وأننى ربما كنت ثالثهما وأعجبهما ، لو أننى اســتطعت فى الحقيقة أن أعرف

من أنا ، الأمر الذى لا يصحّ لأحد أن
يتعجب منه ، إذ أنني لا أعرف شيئاً مما أقول ،
بل لا أعرف حتى أنى لا أعرف ، بحيث
أن من المحتمل غاية الاحتمال أن هناك من
من يجرى على لسانى هذا الكلام ، وأن الذى
يخطب فيكم الآن ليس إلا مجموعة من
الاسطوانات والأنابيب التى تصفر فيها الرياح .
(فى لهجة خطابية) . سيداتى وسادتى !
انظروا هنا تروا شخصين من الجنسين ،
ذكرا وانثى ؛ سيدا وسيدة ! لا شيء سوى
الفن والميكانيكا ، لا شيء إلا أوراق
من الكرتون وعقارب ساعة ! لكل واحد
منهما ريشة رقيقة رقيقة من العقيق تحت
أظفر الإصبع الصغير فى القدم اليمنى ، يكفى
أن تضغط عليه بلطف لكى تدور الآلة
خمسين عاماً كاملة . لقد صنع هذان الشخصان
بدقة متناهية ، بحيث لن يستطيع الإنسان أن
يميز بينهما وبين البشر الحقيقيين ، إذا لم
يعرف أنهما مجرّد ورق مقوّى ، بل إن فى
الإمكان أن ندخلهما أعضاء فى المجتمع

البشرى" . انهما فى غاية النبل ، فهما يتكلمان بلغة فصيحة . وأخلاقهما عالية جداً ، فهما يستيقظان على دقات الساعة ، ويتناولان طعام الغداء على دقات الساعة ، ويذهبان إلى الفراش على دقات الساعة . وهضمهما كذلك يسير بانتظام تام ، مما يثبت أن ضمائرهما حية . واحساسهما بالذوق واللياقة احساس رفيع ، فالمدام ليس لديها أية فكرة عن البنطلونات ، والسيد يستحيل عليه تماماً أن يصعد على السلالم خلف إحدى السيدات ، أو ينزل على السلالم فيتقدمها خطوة واحدة . وهما مثقفان إلى أقصى حد ، فالسيدة تغنى أحدث الأوبرات ، والسيّد يلبس أساور منشاة . سيداتى سادتى ! انتبهوا ! لقد دخلا الآن فى مرحلة هامة : إن ميكانيكا الحب قد بدأت بالفعل ، فالسيد قد حمل شال السيدة عدة مرات ، والسيدة قد قلبت عينيها عدة مرات وتطلّعت إلى السماء . وكلاهما قد همس أكثر من مرة بالايمان والحب والأمل ! إن علامات الانسجام تبدو عليهما ، ولا ينقص إلا الكلمة الصغيرة : آمين.

بيتر (واضعاً اصبعه على أنفه) : صور ! رموز ! اسمع
يا رئيس الوزراء ، حين نأمر على سبيل المجاز
بشنق إنسان ، ألا يكون هذا مساوياً لشنقه فى
الحقيقة والواقع ؟ .

رئيس الوزراء : معذرة ياصاحب الجلالة ، بل ان ذلك يكون
أفضل بكثير ، ذلك أنه لن يشعر بأى ألم ،
وان كان سيشنق مع ذلك .

بيتر : الآن فهمت . نحن نحتفل بالزفاف على سبيل
المجاز (مشيرا الى لينا وليونس) هذه هى
الأميرة — وهذا هو الأمير . — سأنفذ الآن
القرار الذى صممت عليه ، سأدخل السرور
على نفسى . دعوا الأجراس تدق ! تبادلوا
التهانى ! وأنت يا واعظ البلاط ! أسرع !
(يتقدم واعظ البلاط ، ويتنحنح ، ويتطلع
الى السماء عدة مرات)

فاليريو : ابتدىء ! دعك من حركات وجهك
وابتدىء ! هيا !

واعظ البلاط (فى شدة الارتباك) : لو أننا ... أو ... ولكن ...

فاليريو : لما ... الان ...

واعظ البلاط : ذلك أن ...

فالبريو : فى البدء قبل أن يخلق الله العالم .

واعظ البلاط : حدث أن ...

فالبريو : الله أحس بالسأم ...

بيتر : اختصر ياعزيزى .

واعظ البلاط (ممالكا نفسه) : اذا سمحت ياصاحب السمو الأمير ليونس من مملكة بوبو ، وسمحت ياصاحبة السمو الأميرة لينا من مملكة بيبى ، وسمحتما معا ياصاحبي السمو كل من جانبه بأن يقبل كل منكما الآخر زوجا ، فقولا بصوت مرتفع مسموع : نعم .

لينا وليونس معا : نعم !

واعظ البلاط : مادام الأمر كذلك فأنا أقول آمين .

فالبريو : أحسنت ، هذا هو ما قل ودل ، بهذا يكون الرجل والمرأة قد تم خلقهما ، وجميع حيوانات الفردوس تحيط بهما . (ليونس ينزع القناع عن وجهه) .

الجميع : الأمير !

بيتر : الأمير ! ابنى ! لقد ضعت ، لقد خدعت ! (يهرول نحو الأميرة) ومن هذا ؟ سأعلن أن كل ما حدث لاغ ! .

المربية : (تنزع القناع عن وجه الأميرة ، وتصيح منتصرة) الأميرة !

ليونس : لينا ؟

لينا : ليونس ؟

ليونس : لينا ، أعتقد أننا هربنا الى الجنة .

لينا : لقد خدعت !

ليونس : لقد خدعت !

لينا : ياللمصادفة !

ليونس : ياللعناية الالهية !

فاليريو : لابد أن أضحك ! لابد أن أضحك ! لقد تصادف لقاؤكما يا صاحبي السمو بمحض المصادفة . أتعشم لأجل خاطر المصادفة أن يهنأ خاطركما .

المربية : من كان يصدق أن عيني العجوزتين ستريان هذا ! ابن ملك تائه ! الآن استطيع أن أموت وأنا مرتاحة البال .

بيتر : يا أبنائي ، أنا متأثر ، لا أدرى ماذا أفعل من شدة التأثر . أنا أسعد انسان ! ها أنا ذا ياولدى أعلن على الملأ أنني أضع الحكم بين يديك ، وأنني سأنصرف الآن الى التفكير دون أن

يزعجني شيء . أما هؤلاء الحكماء (يشير إلى الوزراء) فاتركهم لي ياولدي ، لكي يساعدوني في الجهود التي سأبذلها . تعالوا أيها السادة . يجب أن نفكر ، يجب أن نفكر بغير أن يزعجنا شيء . (ينصرف مع الوزراء) أربكني هذا البني الآدم ! لابد أن أحاول الآن أن أستعيد نفسي .

ليونس (للحاضرين) : سادتي ! باسم زوجتي وباسمي أعلن عن أسفي لأننا أرهقناكم اليوم بخدمتنا . ان وضعكم مؤسف الى حد أننا لن نضع صبركم موضع الاختبار أكثر من هذا . أذهبوا الآن الى بيوتكم ، ولكن لاتنسوا أن تأخذوا خطبكم ، ومواعظكم ، وقصائدكم لأننا سنبدأ اللعبة مرة أخرى من أولها غدا . الى اللقاء !

(ينصرف الجميع ، باستثناء ليونس ولينا وفاليريو)

ليونس : هل ترين يالينا كيف امتلأت جيوبنا بالورق واللعب ؟ ماذا نفعل الآن بها ؟ هل نضع لها شوارب ونعلق في أيديها سيوفا ؟ أو هل

نكسوها سترات سوداء ونعلمها السياسة والدبلوماسية ، ونجلس أمام الميكروسكوب لنراقبها ؟ أم هل نفسلك فى صندوق غناء ، تجرى عليه الفيران الجمالية البيضاء كالحليب ؟ هل نبنى مسرحا ؟ (لينا تميل عليه وتهز رأسها) . ولكننى أعرف ماتريدينه خيرا منك : سنأمر بتحطيم جميع الساعات ونحرم حيازة النتائج السنوية ، ولا نقيس الساعات والأقمار الا بتوقيت الوردة ، والزهرة والثمرة . ثم نحيط البلد بالمرايا المشتعلة ، حتى لا يأتى الشتاء بعد اليوم ونسافر الى ايشيا وكابرى ، ونمضى السنة كلها بين أزهار البنفسج ، وثمار البرتقال ، وأكاليل الغار .

فاليريو : وأما أنا فسوف أصبح وزيرا ، وسأصدر مرسوما يقضى بأن كل من تتشقق كفاه من العمل يوضع تحت الوصاية ؛ وكل من يمرض نتيجة الاجهاد فى العمل يضع نفسه من الناحية الجنائية موضع العقاب ؛ وكل من يفتخر بأنه يأكل عيشه من عرق جبينه يعلن على الملأ أنه مجنون وأنه خطر على المجتمع البشرى ؛ ثم

نرقد فى الظل وندعو الله أن يرزقنا ماكارونه ، وليمونا أصفر ، وتينا ، كما نتوسل اليه أن يهبنا حناجر موسيقية ، وأجساما كلاسيكية ، وديانة مريحة !!



ڤويسك

مسرحية للكاتب الألماني

چورچ بشنر

WOYZECK فويسك

الشخصيات :

Woyzeck	فويسك
Marie	مارى
Hauptmann	ضابط
Doktor	طبيب
Tambourmajor	ضابط الطبول
Unteroffizier	صف ضابط
Andres	اندريس
Margret	مرجريت
Budenbesitzer	صاحب حانة
Marktschreier	منادى فى السوق
Altermann mit leierkasten	شيخ عجوز معه صندوق الدنيا
Jude	يهودى
Erster Handwerksbursch	الصبى الأول (عامل يدوى)
Zweiter Handwerksbursch	الصبى الثانى « »
Käthe	كيته
Narr Karl	كارل العبيط
Grossmutter	الجده
Erstes, zweites, drittes kind	ثلاثة أطفال
Erste, zweite Person	الأول والثانى
Polizeikommissar	مفتش البوليس

جنود — طلاب — فتية وفتيات — أطفال — جمهور

عند الضابط

الضابط على كرسى — فويسك يحلق له شعره

الضابط : على مهلك يافويسك. على مهلك .. واحدة! واحدة ! يكاد يغمى على ! ماذا أصنع بالدقائق العشر التى تبقى لى اذا فرغت من الحلاقة قبل الميعاد ؟
فويسك فكر معى : مازال أمامى ثلاثون عاما أعيشها . ثلاثون عاما حلوة أى ثلاثمائة وستون شهرا ! ويوما ! وساعة ! ودقيقة ! ماذا عساه أن يفعل بهذا الزمن الهائل . يقسمها يافويسك ؟

فويسك : تمام ياحضرة الضابط.

الضابط : الرعب يتملكنى كلما فكرت فى الأبدية . شغلة يافويسك ، شغلة ! أبدى ! هذا أبدى ، هذا أبدى . شىء واضح كما ترى ، لكن الواقع انه ليس أبديا وانما هى لحظة ، نعم لحظة واحدة — فويسك ، اننى ارتعد خوفا

كلما فكرت أن الدنيا تدور حول نفسها كل يوم . ياله من زمن ضائع ! الى أين ينتهى بنا هذا ؟ فويسك ! انى لا أرى طاحونة الا استبد بى الحزن .

فويسك : تمام ياحضرة الضابط .

الضابط : فويسك أنت دائما مستعجل ! دائما مكروش ! الرجل الطيب لا يفعل هذا .. الرجل الطيب . ذو الضمير الطيب – تكلم يافويسك ، قل شيئا ! ما حال الجو اليوم ؟

فويسك : سىء ياحضرة الضابط. سىء . ريح !

الضابط : انى أحس به فعلا . شيء كالعاصفة يدور فى الخارج . مثل هذه الرياح تذكرنى بالفيران. (فى خبث) أعتقد أن شيئا كهذا يأتينا من الجنوب الشمالى ؟

فويسك : تمام ياحضرة الضابط .

الضابط : ها ! ها ! ها ! الجنوب الشمالى ! ها ! ها ! ها ! آه انى غبى ! غبى الى حد شنيع (بتأثر) فويسك انه انسان طيب . ولكن (باستعلاء) فويسك . انه بلا أخلاق !

الأخلاق ! ذلك ما يكونه الانسان عندما يكون
على خلق هل يفهم ؟ انها كلمة طيبة . لديه
طفل من غير بركة الكنيسة ، كما يقول
واعظ القشلاق المبجل . بغير بركة الكنيسة .
لست أنا الذى أقول هذا .

فويسك : سيدى الضابط . ان الله لايحاسب الدودة
المسكينة ان كانت بركة آمين قد هبطت
عليها قبل أن تخرج الى الوجود . الرب قال
اتركوا الصغار يأتوك الى .

الضابط : ماذا يقول ؟ ماهذا الجواب العجيب ؟ انه
يربكنى بجوابه . كلما قلت هو فانما أعنى
أنت .

فويسك : نحن المساكين — انظر ياسيدى الضابط .
المال . المال . من لامال معه ، ماذا تنفعه
الاخلاق فى هذه الدنيا ؟ نحن أيضا من لحم
ودم . أمثالنا أشقياء فى الدنيا وفى الآخرة .
لو أن أبواب السماء فتحت لنا لكان علينا أن
نساعد فى قصف الرعود .

الضابط : فويسك انه عديم الفضيلة ! انه انسان غير

فاضل ! لحم ودم ! عندما أقف فى نافذتى ، وقد تساقط المطر ، أتابع ببصرى الجوارب البيضاء وهى تخطر عابرة الأزقة — الويل ! فويسك ، عندئذ يساورنى الحب ! أنا أيضا من لحم ودم . ولكن الفضيلة ، يافويسك ، الفضيلة ! كيف اذن كنت أصرف وقتى ! انى أقول لنفسى دائما : انت رجل طيب (متأثرا) رجل طيب . رجل طيب .

فويسك : نعم ياسيدى الضابط ، الفضيلة ، لم أذق طعمها بعد . انظر . ان عامة الناس من أمثالنا لايعرفون ماهى الفضيلة . إن الطبيعة تتحكم فيهم . لو أننى كنت سيدا وأضع على رأسى قبعة وفى يدى ساعة وسلسلة واستطيع التحدث بلباقة لاشتهيت أن أكون فاضلا . لابد أن الفضيلة شىء جميل ، ياسيدى الضابط ، ولكنى فتى مسكين .

الضابط : طيب يافويسك . انت رجل طيب ، رجل طيب . ولكنك تفكر أكثر من اللازم . وهذا يقضى عليك ، وأنت دائما مكروش ومستعجل ...

الحديث معك ضعضعني . اذهب الآن .
ولا تجر كعادتك ، على مهلك ، انزل
الشارع على مهلك !

فضاء . المدينة تبدو من بعيد

فويسك واندريس يقطفان أعوادا فى حرش

اندريس : (يصفر)

فويسك : أجل يا اندريس . المكان ملعون . هل ترى
الخط المضيء المنشور هناك فوق العشب ،
حيث تنمو الاسفنج ؟ هناك يتدحرج الرأس
ليلا . مرة التقطه واحد من مكانه ، يقول
انه قنفد ، ثلاثة أيام وثلاث ليال ، رقد
فيها على ألواح الخشب . (همسا) :
اندريس ، انهم الماسونيون ! الماسونيون !
لقد عرفت السر !

اندريس : (يغني) بدا على البعد أرنبـــان
كانا على العشب يجلسان
ومن ندى العشب يأكلان . (*)

* حرفيا : هناك جلس ارنبان ، العشب الاخضر ، العشب الاخضر .

فويسك : سكوت ! هل تسمع يا اندريس ؟ هل تسمع ؟ شيء يتحرك هناك !

اندريس : (يغني) حتى التهما العشب الأخضر
ماتركا منه شيئا يذكر (*)

فويسك : انه يتبعني ، يتحرك تحت قدمي . (يدق الارض بقدميه) أجوف ، هل تسمع ؟ ! كل شيء أجوف تحتنا ! الماسونيون !

اندريس : أنا خائف .

فويسك : هذا السكون الغريب . يود الانسان أن يحبس أنفاسه ! اندريس !

اندريس : ماذا ؟

فويسك : تكلم ! (يحملق جامدا فيما حوله) اندريس ! هذا النور ! فوق المدينة هالة من اللهب ! نار تتصاعد فى الافق وصخب أبواق تنحدر الى الأرض . شيء يقتلعني . شيء يجذبني الى أعلى . كأنها الاشباح ! لنبتعد ! لا تتلفت وراءك ! (يجذبه الى الدغل)

اندريس : (بعد برهة) فويسك ، هل مازلت تسمع ؟

** حرفيا : التهما العشب الاخضر ، العشب الاخضر ، حتى الحشبالش .

فويسلك : سكون . كل شيء ساكن . كأن العالم مات .

اندريس : هل تسمع ؟ انهم يقرعون الطبول . لابد أن نذهب !

المدينة

(أمام النافذة . ماريا تحمل طفلها بين ذراعيها – مرجريت)

(يمر طابور عسكرى فى مقدمته ضابط الطبول)

ماريا : (تهدهد الطفل بين ذراعيها) هه، سارا را را !
هل تسمع ؟ هاهم قادمون .

مرجريت : ياله من رجل ، كأنه شجرة !

ماريا : واقف على رجليه وقفة السبع (ضابط الطبول يحيي)

مرجريت : وهذه النظرات الودودة ،
لم تعودينا على رؤيتها . ياست الجارة !

ماريا : (تغنى) كتائب العسكر : أولئك الفتيان

مرجريت : مازالت عيناك تلمعان .

ماريا : ولو ! اذهبي بعينيك الى اليهودى ودعيه

بمسحهما ، فقد تلمعان أيضا وتبيعيهما مقابل زرارين .

مرجريت : ماذا ؟ أنت ياعانس ! أنا شريفة . أما أنت فكل واحد يعرف من أنت ! كل واحد يكشفك ولو لبست سبعة بناطيل فوق بعض !

ماريا : يافاجرة ! (تغلق النافذة) تعال ياصغيرى نبتعد عن عيون الناس . ما أنت الا ابن حرام مسكين ، تفرح أمك بوجهك غير الشريف (تغنى) :

يافتاتى . . . .

ضاقت الدنيا فماذا تصنعين ؟

ويل ام مالها الدهر قرين

لى وليد ليس يدرى من أبوه

أمه يعرفها أما أبوه ؟

لو قضيت الليل أشدو وأغنى

ماحنا قلب عليه أو عليا

لا ولا امتدت يد تعطيه شيئا

(طرق على الباب)

ماريا : من ؟ فرانز ؟ ادخل !

فويسك : لا أستطيع . لا بد أن أذهب للقشلاق .

ماريا : هل قطعت الاعواد للضابط ؟

فويسك : نعم يا ماريا .

ماريا : مالك يافرانز ؟ الارتباك يبدو عليك .

فويسك : (مأخوذا كأنه يهمس بشيء) : ماريا ، لقد عاد الى الظهور من جديد . شيء رهيب لا اسم له . فجأة تصاعد دخان من المراعى ، كالدخان يتصاعد من فرن ؟

ماريا : يا رجل !

فويسك : ظل يتبعنى الى مشارف المدينة . شيء لاندركه. لانستطيع أن نتصوره . شيء يسلبنا العقل . ترى ماذا يكون ؟ الى اين يسوقنى ؟

ماريا : فرانز !

فويسك : لابد أن أذهب للسجن اليوم مساء فى القداس ! لقد ادخرت شيئا . (ينصرف)

ماريا : الرجل مسته الأرواح .. لم ينظر الى طفله ! مازال غارقا فى أفكاره ! لماذا سكت

ياصغيرى؟ هل أنت خائف ؟ الظلام يزحف ،
يكاد الانسان يحسب نفسه أعمى وكان الصباح
يرسل نوره هنا . لا أستطيع أن أحتمل هذا
الظلام ، انني أرتعد ! (تنصرف)

(أكشاك • أضواء • جمهور)

(عجوز يغنى وطفل يرقص على أنغام صندق
مما يحمله المغنون الجوالون فى الشوارع)

هذه الدنيا زوال وفتون
كل ما كان وما سوف يكون
كتب الموت علينا أجمعين
ذاك مانعلمه علم اليقين

فويسك : هاى !! عجوز مسكين ! طفل مسكين ،
طفل صغير ! هموم وأعياد !

ماريا : عجبا ! ان كان الحمقى قد فقدوا عقولهم ،
فكلنا أحمق — عالم مضحك ! عالم جميل !
(يتجهان نحو الصائح فى السوق)

صائح السوق : (على أحد الاكشاك ومعه زوجته وقرد فى

ثياب مزوقة) سيداتى ، سادتى انظروا الى
الخليقة كما ابدعها الله . لاشيء ، لاشيء
بالمرة ! الآن تأملوا الفن : يسير منصوب
القامة ، عليه سترة وسروال ، وفى يده سيف !
القرد عسكرى ، ليس هذا هو كل شيء .
ادنى درجات النوع الانسانى هوه ! انحن
للسادة ، هكذا ــ أنت بارون قبلة للزبائن
(يطبل) الصعلوك موسيقار موهوب !
سيداتى ! سادتى ! أمامكم الحصان الفلكى
والكنارى الصغير . كل ملوك أوربا تحبهما .
يكشفان كل الاسرار : العمر ، عدد الاطفال ،
نوع المرض . العرض يبدأ ! بداية البداية
فى الحال !

فويسك : لك مزاج ؟

ماريا : كما تحب . لابد أنها حاجة حلوة . هذا
الطرطور على رأس الرجل ! والمرأة تلبس
سراويل !! (يدخلون الكشك).

ضابط الطبول : قف ! هاها ! هل تراها ؟ يالها من حرمة !

الصف ضابط : يا ابليس ! كأنها خلقت لتهجين فصائل
الفرسان !

ضابط الطبول : وتوليف ضباط الطبول !

الصف ضابط : انظر كيف تحمل رأسها بين كتفيها ! يخيل للانسان أن الشعر الأسود لابد أن يشدها الى الوراء كأنه حمل ثقيل ... والعيون ...

ضابط الطبول : كما لو كان الانسان يطل فى ينبوع أو ينظر فى مدخنه . هيا بنا ، وراءها !

الكشك المنور من الداخل

ماريا : هذا النور كله !

فويسك : نعم، ياماريا . قطط سوداء عيونها من نار آه . يالها من ليلة !

صاحب الكشك : (يستعرض حصانا أمام الجمهور) : اظهر مواهبك . بين مفهوميتك الحيوانية ! أخجل المجتمع البشرى ! سادتى ! هذا الحيوان الذى ترونه أمامكم ، بذيله وحوافره الأربع ، عضو فى كافة الجمعيات العلمية . بروفسور فى جامعتنا ، على يديه يتعلم الطلبة ركوب الخيل والمبارزة . ذلك هو الفهم البسيط . فكر الآن بالعقل المزدوج ! ماذا تفعل عندما

تفكر بالعقل المزدوج ؟ هل بين أعضاء
الجمعية العلمية التى نراها حمار ؟ (البغل
يهز رأسه) هل رأيتم الآن العقل المزدوج ؟
هذه فزيو نوميا حيوانية . أجل ليس هذا
بهيما غبيا ، انه شخص ، انسان ، انسان
حيوانى ، ومع ذلك بهيم ، حيوان متوحش
(البغل يعرض نفسه فى خيلاء) هكذا ،
اخجل المجتمع . انظروا ، ان البهيم طبيعة
بحتة ، طبيعة غير ، مثالية ،تعلموا منه ! اسألوا
الطبيب ، والا أصابكم ضرر بليغ . كان
يقال : أيها الانسان ، كن على طبيعتك !
لقد خلقت من طين ، ورمل ، ووسخ .
هل تطمع أن تكون أكثر من طين ورمل
ووسخ ؟ انظروا مابلغه من العقل . إن فى
امكانه أن يحسب بدون أن يعد على أصابعه .
لماذا ؟ لأنه لايستطيع أن يعبر عن نفسه ، أن
يشرح خواطره ،انه انسان ممسوخ . قل للسادة
كم الساعة الآن ! من من السادة والسيدات
لديه ساعة ؟ ساعة ؟

الصف ضابط : ساعة ؟ (يخرج فى زهو ساعة من جيبه)

هاك هى ياسيدى !

ماريا : لابد أن أرى هذا (تشق طريقها الى الصفوف الامامية ، الصف ضابط يساعدها)

ضابط الطبول : أما حرمة !

غرفة ماريا

ماريا : (جالسة طفلها على حجرها ومرآة صغيرة فى يدها) والرجل الآخر أمره فاضطر أن يذهب! (تنظر فى المرآة) : كم تلمع الاحجار! من أى نوع ياترى ؟ ما الذى قاله ؟ نم ياصغيرى. اقفل عينيك . اقفلهما جيدا (الطفل يخفى عينيه بيديه) هل تغلقهما جيدا ؟ ابق هكذا ــ حذار أن تبكى ، والا جاء وخطفك ! (تغنى)

يا فتاة . . . . . .

أغلقى الشباك حتى لا يراك

أسمر العينين من أرض الغجر

فارس لو أبصرته مقلتـــاك

لحظة أو قبلتـــه شفتاك

ربما يطويك فى لمح البصر
فى ذراعيه الى أرض الغجر !

(تعيد التطلع فى المرآة) انه لاشك من ذهب !
هل ياترى سيليق على فى الرقص ؟ آه من
بختنا نحن المساكين! كتب للواحدة منا ركن
صغير فى هذا العالم ، ومرآة صغيرة فى اليد .
مع ان لى شفة حمراء كنساء الذوات ،
بمراياهن الكبيرة من شعرهن الى القدم ،
ورجالهن المرفهين الذين يقبلون أيديهن .
ما أنا الا امرأة مسكينة !

(الطفل يصحو من نومه) نم . نم ياصغيرى !
اقفل عينيك ! عفريت الليل . ها هو يمشى
على الحائط وينظر بعينين من زجاج . نم ،
والا بحلق فيك وخطف عينيك !

(فويسك يدخل ويقف وراءها بحيث لا تراه .
ماريا تتحسس الحلق بيدها)

فويسك : ماهذا ؟

ماريا : لاشىء .

فويسك : والذى يلمع تحت أصابعك ؟

ماريا : حلق عثرت عليه .

فويسك : شيء كهذا لم أره فى حياتى ، اثنين مرة واحدة !

ماريا : ألست انسانا مثل كل الناس ؟

فويسك : لا بأس يا ماريا . الطفل ينام ! اجذبيه من تحت ذراعه فالكرسى يضغط عليه . قطرات تلمع فوق جبينه ، تعب كل ماتحت الشمس ، حتى فى نومه يتصبب الانسان عرقا . نحن المساكين ! خذى ياماريا ، الماهية وشيء من الضابط .

ماريا : ربنا يجازيك بالخير يافرانز .

فويسك : لابد أن أذهب الليلة يا مارى ! الوداع !

ماريا : (وحدها ، بعد برهة) ما أنا فى الحقيقة الا انسان سيء . انى أكاد أقتل نفسى . آه من هذا العالم ! ليذهب الجميع الى الشيطان ، رجالا ونساء !

عند الطبيب

فويسك — الدكتور

الدكتـــور : ماذا اسمع يا فويسك ؟ هل هذه كلمة رجل ؟

فويسك : ماذا حصل ياسيدى الدكتور ؟

الدكتـــور : رأيت بعيني ، بعيني يافويسك وأنت تبول فى الشارع . وأنت تبول على الحائط كما يفعل الكلب — وكل يوم ثلاثة قروش والزاد ! فويسك ، هذا شيء بطال ، العالم يسوء كل يوم ، يسوء للغاية !

فويساك : ولكن ياسيدى الدكتور ، عندما تتحكم الطبيعة فى الإنسان .

الدكتـــور : الطبيعة ! الطبيعة ! ألم أثبت بما لا يقبل الشك أن العضل القابض موسكولوس كونستركتور فيسكاى خاضع لإرادة الإنسان ؟ الطبيعة !

فويسك ! إن الإنسان كائن حر . فى الإنسان تنمو الفردية إلى الحرية . وأنت لا تستطيع أن تتحكم فى البول ؟ (يهز رأسه . يعقد يديه خلف ظهره ويمشى فى الحجرة ذهاباً وإياباً) . هل أكلت البسلة يافويسك ؟ لا شيء غـــير البسلة ، كروسيفراى ، لاحظ هـــذا ! ستكون ثورة فى العلم . سأفجره فى الهواء . بول عشرة فى المـــائة

أمونيوم ، هيروكسيـــدول ، حامض هيدروكلوريك . فويسك ! هل تحس أنك مزنوق ؟ أدخل وجرب .

فويسك : لا أستطيع يا دكتور .

الدكتـــور : (منفعلا) أما على الحائط فنعم ! عندى الدليل المكتوب ، والعقد فى يدى ! رأيت كل شيء ، بعينى هاتين ، كنت أخرج أنفى من النافذة لتسقط عليها أشعة الشمس وأراقب العطس (يتجه نحوه) لا يافويسك ، لست غاضباً ، ان الغضب غير صحى ، غير علمى . إننى هادىء كل الهدوء ، كالمعتاد . وأقول لك هذا بمنتهى البرود . ياحفيظ ، ومن يغضب نفسه من أجل إنسان ، من أجل إنسان ! حتى لو كان هو برونيوس الذى يدوس عليه ؟ ولكن يافويسك . لم يكن يصح أن تبول على الحائط .

فويسك : انظر ياسيدى الدكتور ، فى بعض الأحيان يكون للواحد أخلاق ، يكون له طبع — أما مع الطبيعة فالأمر يختلف ، انظر ، مع

الطبيعة (يطقطق أصابعه) ماذا أقول ياترى ، على سبيل المثل ....

الدكتـــور : فويسك . رجعت للفلسفة .

فويسك : (فى ود) سيدى الدكتور. هل سمعت مرة عن الطبيعة المزدوجة ؟

عندما تظهر الشمس فى عز الظهر ، ويبدو العالم كانه يحترق ، أسمع صوتاً مخيفاً ينادى على .

الدكتـــور : فويسك عنده خلل ، أبيرراتسيو أ

فويسك : (يضع أصبعه على أنفه) الأسفنج ، يا سيدى الدكتور ، هناك، هناك تختبىء. هل لاحظت مرة أشكال الأسفنج التى تنبت على الأرض ؟ أين من يفهم هذا ؟

الدكتـــور : فويسك! عندك أجمل حالة اختلال عقلى جزئى ابيرراتسيو منتاليس بارتياليس ، النوع الثانى ، واضح تمام الوضوح. فويسك! ستاخذ علاوة . النوع الثانى . فكرة ثابته مع حالة طبيعية بوجه عام . هل تؤدى أعمالك كالمعتاد ؟ هل تحلق للضابط ؟

فويسك : نعم

الدكتـــور : وتأكل البسلة ؟

فويسك : بانتظام ياسيدى الدكتور. ومصاريف المعاش تأخذها زوجتى .

الدكتور : وتخدم فى القشلاق ؟

فويسك : نعم

دكتـــور : حالة مدهشة يانفر فويسك . ستأخذ علاوة . اثبت . هات النبض . تمـــام .

حجرة ماريا

ماريا ! ضابط الطبول

ضابط الطبول : ماريا !

ماريـــا : (وهى تنظر إليه بصوت معبر) تمش قدامى ! الصدر صدر ثور والذقن ذقن أسد . ليس له نظير . أنا أفتخر بك أمام كل النسوان !

الضابط : عندما أعلق الريشة الكبيرة يوم الأحد وألبس القفاز الأبيض ، رعدك ياسما ! الأمير يقول دائماً : أما رجل ولا كل الرجال !

ماريـــا : (بتهكم) : أوه ! (تقترب منه) رجل !

الضابط : وأنت المرأة ! ياشياطين ! تعالى نرمى بذرة ضباط الطبول ! هو ؟ (يعانقها)

ماريـــا : (فى ضيق) : اتركنى !

الضابط : ياوحش !

ماريـــا : (بحرارة) لاتلمسنى !

الضابط : هل ينط الشيطان من عينيك؟

ماريـــا : على رأيك ! كله واحد !

– شارع –

(الضابط – الدكتور يهبط الشارع مسرعاً ، يقف ، ينحنى ، ثم يتلفت حوله)

الضابط : يادكتور ، لاتجرى هكذا . لا تطوح بعصاك هكذا فى الهواء ! انت تجرى وراء الموت . الرجل الطيب صاحب الضمير الطيب ، لايمشى بهذه السرعة . الرجل الطيب (يمسك بسترة الدكتور) سيدى الدكتور ، اسمح لى أن أنقذ حياة بنى آدم !

الدكتـــور : مستعجل ، يا حضرة الضابط ، مستعجل !

الضابط : سيدى الدكتور ، أنا دائماً مغموم ، عندى ميل [

للغم . كلما رأيت سترتى معلقة على الحائط بكيت غصباً عنى .

الدكتـــور : هـ .. م ! ابخرة ، سمنة ، رقبة تخينة ، تكوين أبو بلكتى . نعم ياسيدى الضابط ، ربما تصاب بالنقطة فى المخ أبو بلكسياسير بيرى فى جنب واحد ، وفى الجنب الثانى تصاب بالشلل، أو على أحسن الفروض تصاب بالشلل العقلى وتعيش لتأكل فقط .

هذه تقريباً هى حالتك المنتظرة فى الأربع أسابيع المقبلة ! على فكرة . أستطيع أن أؤكد لك أن حالتك من أمتع الحالات ، وإذا شاء الله وشل لسانك شللا جزئياً فستكون هذه فرصة لعمل تجارب خالدة .

الضابط : ياسيدى الدكتور . لا تدخل الرعب فى قلبى ! يا ماناس ماتت من الرعب ، من الرعب وحده.. أنا أرى الناس فى أيديهم يموون ولكنهم سيقولون كان رجلا طيباً ، رجلا طيباً — شيطان — مسمار نعش .

الدكتـــور : (ينزع قبعته من على رأسه) ما هذا ، ياحضرة

الضابط — هذه رأس خاوية يا حضرة السيد النفر المحترم !

لضابط : (مقطباً) يا حضرة الدكتور ؟ هذا عبط ، هذه سذاجة ، يا عزيزى السيد مسمار النعش ! هأ هأ هأ ! لكن لا بأس ! أنا رجل طيب ولكننى أستطيع أيضاً ، إذا أردت يا دكتور ، هأ هأ هأ! إذا أردت (يظهر فويسك ويريد أن يمر مسرعاً) هيه ! فويسك ، ماذا يجعلك تمرق من جنبنا بهذه السرعة ؟ انتظر يافويسك! إنه يمشى فى الدنيا كموسى الحلاقة . كل من يقابله يجرحه وكأن وراءه فرقة مخصيين تحتاج الحلاقة ، أو كأنهم سيشنقونه لو ترك شعرهم من غير حلاقة . لكن الذقون الطويلة — ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فويسك ، الذقون الطويلة ...

الدكتـــور : ذقن طويلة تحت الفك . بلينيوس تكلم عنها ومن رأيه أن نعلم العساكر كيف يقلعون عن هذه العادة .

الضابط : (يستمر فى حديثه) ها ؟ على الذقون الطويلة! قل لى يا فويسك ألم تجد شعرة ذقن فى طبقك ، هه ، أنت طبعاً فاهم ، شعرة ذقن رجالى ؟

صاحبها واحد بلطجى ، واحد صـول ،
واحد ضابط طبول هيه ، ولكن زوجتك
شريفة ــ بخلاف الناس كلهم .

فويسك : نعم . ماذا تريد أن تقول ياحضرة الضابط ؟

الضابط : ولم هذه التكشيرة ؟؟ ربما لم تجدها فى الشوربة .
ولكن لو استعجلت ورحت على الناصية ربما
تجد شعرة عالقة بشفتين .. شفتين ، يافويسك ،
أنا أيضاً شعرت بالحب ، يافويسك . ولد !
أنت أصبحت لون الطباشير !

فويسك : ياسيدى الضابط أنا شيطان مسكين ــ لا أملك
من الدنيا أى شىء . سيدى الضابط ــ ان
كنت تضحك علىّ ...

الضابط : أضحك ؟ أنا أضحك معك ياولد ؟

الدكتـــور : النبض ، يافويسك ، النبض ! بسيط ، قوى ،
منتفض ، غير منتظم .

فويسك : ياسيدى الضابط. الأرض مثل جهنم الحمراء.
وأنا جسمى ثلج ، ثلج ــ جهنم برد ــ هل
تراهن؟ مستحيل ــ ياعالم ! ياناس ! مستحيل !

الضابط : ولد ! يعنى أخبطلك رصاصتين فى نافوخك ؟

تسلط عينيك تطعن فىّ مثل السكاكين —
وأنا قصدى طيب معك — لأنك رجل طيب ،
يا فويسك ، رجل طيب .

الدكتـــور : عضلات الوجه متحجرة ، متوترة ، تنتفض .
الحالة متهيجة ، متوترة .

فويسك : أنا ماشى . كل شىء جائز . الإنسان . كل
شىء جائز — الجو جميل اليوم ياسيدى
الضابط ، أنظر ، مثل هذه السماء الجميلة ،
الثابتة ، الداكنة يكاد الإنسان — يجد متعة
فى أن يدق فيها لوح خشب ويشنق نفسه منه ،
لولا الفكرة التى تفصل بين نعم ونعم وبين لا
ولا. سيدى الضابط، نعم ولا ؟ هل اللامذنبة فى
حق النعم أم النعم فى حق لا ؟ أريد أن أفكر
فى هذا .
(ينصرف بخطوات واسعة بطيئة فى أول
الأمر ثم تزداد سرعة بالتدريج) .

الدكتـــور : (يندفع وراءه) ظاهرة ! فويسك ! لك
علاوة !

الضابط : سأدوخ من منظر هذا البنى آدم . ما أسرعه !
اللئيم المكار رجله الطويلة تهرول كما لو كان

ظل رجل عنكبوت ، والرجل الصغيرة
ترتعش . الطويلة هى البرق والقصيرة الرعد
ها ها !! مسخرة ! مسخرة !

حجرة ماريا

ماريا — فويسك

فويسك : (ينظر إليها فى جمود ويهز رأسه) هم !
لا أرى شيئاً ، لا أرى شيئاً . آه! لابد للانسان
أن يراه ، أن يتمكن من القبض عليه بكلتا
بكلتا يديه !

ماريا : (خائفة) : مالك يافرانز ؟ انت تهذى يافرانز.

فويسك : خطيئة . بهذا السمك وبهذا العرض — رائحتها
العفنة تفوح منها ، بحيث يستطع الإنسان أن
يبخر الملائكة على رائحتها إلى السماء ! فمك
أحمر ياماريا . أليس عليه أثر دمل ؟ ماذا
يا ماريا ؟ أنت حلوة كا لخطيئة — هل تستطيع
الفاحشة أن تكون بهذا الجمال ؟

ماريـــا : فرانز ، أنت تتكلم كالمحموم !

فويسك : يا إبليس ! هل كان يقف هناك ؟ هكذا ؟
هكذا ؟

ماريـــا : لما كان النهار طويلا والعالم قديماً ، ففى إمكان الكثيرين أن يقفوا فى مكان واحد ، واحداً بعد الآخر .

فويسك : لقد رأيته .

ماريـــا : فى استطاعة الإنسان أن يرى الكثير ما دامت له عينان وليس أعمى والشمس طالعة .

فويسك : ياعالم (يتقدم نحوها)

ماريا : لا تلمسنى يافرانز ! طعنة السكين فى جسدى أحب إلى من لمسة يديك. إن أبى لم يجسر فى حياته على ضربى وعندى من العمر عشر سنوات ، عندما كنت أنظر إليه .

فويسك : يا امرأة ! لا ! لابد أن فيك شيئاً ! كل إنسان هاوية سحيقة . يصيبنا الدوار حين نتطلع إليها . ليكن ! إنها تسير كما لو كانت هى البراءة نفسها . ولكن لك ، أيتها البراءة ، علامة تدل عليك .. هل أعرفها ؟ هل أعرفها ؟ من الذى يعرفها ؟!! (ينصرف)

غرفة الحراسة

فويسك ـــ أندريس

اندريس (يغنى) : ست البيت الجارة

عندها خدامة شاطرة
قاعدة فى الجنينة
ليلها ويا نهارها
قاعدة فى الجنينة (*)

فويسك : أندريس

أندريس : هه ؟

فويسك : الجو جميل

أندريس : جويوم الأحد ــ الموسيقى على باب البلد . من مدة خرجت النسوان . الناس طالع منها البخار . شىء عظيم !

فويسك : رقص يا اندريس ، انهم يرقصون !

اندريس : فى الوحل وفى النجوم .

فويسك : رقص ! رقص !

اندريس : على كيفهم (يغنى) :
قاعدة فى الجنينة
لغاية لما الساعة

---

* صاحبة البيت عندها خادمة شاطرة ، تجلس فى البستان ليل نهار ، تجلس فى بستانها .

تدق تناشر دقة

تتفرج عالعساكر (*)

فويسك : أندريس ، أعصابى فى دوامة

أندريس : مغفـــل .

فويسك : لابد أن أخرج . الدنيا تلف أمام عينى . رقص ، رقص ، هل ستصبح يداها دافئتين ؟ اندريس ! لعنة الله عليها !

أندريس : ماذا تريد ؟

فويسك : لابد أن أذهب ، لابد أن أراها .

أندريس : يامهووس ! كل هذا من أجل هذا المخلوق ؟

فويسك : لابد أن أخرج . الحر يخنقنى هنا

ملهى

النوافذ مفتوحة ـ أرائك أمام الملهى صبية من عمال الحرف اليدوية

الصبى الأول : شايل قميص على جتتى

(يغنى) : بس القميص ماهش بتاعى
نفسى أدوق طعم النبيت

** تجلس فى بستانها ، الى أن تدق الساعة الثانية عشرة وتأخذ بالها من العساكر ...

واشرب كاسين من ايد حبيبي (*)

الصبي الثاني : أخي ، هل تحب أن أشق لك خرماً في الطبيعة ، لأجل خاطر صداقتنا ؟ إلى الأمام ! أريد أن أن أخرم خرماً في الطبيعة ! أنا أيضاً شهم كما تعرف ! أريد أن أفعص كل البراغيث على جسدك !

الصبي الأول : روحي ، روحي تفوح برائحة الخمر ، حتى المال يفسد ! لا تنسني ، ما أجمل هذا العالم ! أريد أن أملأ برميلا لآخره بالكآبة والنواح حتى يطفح . تمنيت لو كان أنفانا زجاجتين ، واستطعنا أن يصب كل واحد منا في رقبة الآخر .

(آخرون يغنون غناء الجوقة)

صياد من أرض الفالس

راح يصطاد جوه الغابة

والغابة كانت خضرة

هاللو ؟ هاللو ؟ ياما أحلى الصيد

---

* ارتدى قميصا ، والقميص لا أملكه . روحي تفوح برائحة الخمر ...

ما أحلاه عالمرعى الخضرا (*)
ما أحلاه ما أحلاه ! فرحتى وهناية !
(فويسلك يقف أمام النافذة ـ ماريا وضابط الطبول يمران عليه وهما يرقصان متعانقين ، دون أن يلحظاه).

ماريــا : (وهى تعبر راقصة) ضمنى بشدة ... بشدة ...

فويسلك : (يختنق) بشدة... بشدة ! (ينهض فى هياج ثم يسقط على الأريكة) بشدة ... بشدة ! (يشبك يديه) لفوا ! دوروا ! لماذا لا ينفخ الله فى الشمس فيطفئها حتى يتمرغ الجميع فى الفاحشة، رجالا ونساء ، آدميين وبهائم . افعلوها فى وضح النهار ، الدغوا الناس فى أيديهم كما تفعل البعوض ! ــ النسوان ! النسوان ساخنة ، ساخنة ! بشدة ، بشدة ! (فى هياج) الجدع ، منظره وهو يطوقها ، يضم جسدها ! إنها الآن ملكه ، كما كانت ملكى فى البداية (ينهار فاقد الوعى)

الصبى الأول : (يلقى عظة من فوق المائدة) : ومع ذلك ،

* صياد من الفالس ، دخل مرة فى غابة خضراء ، هاللى ، هاللو ، ما احلى الصيد هنا على المراعى الخضراء ، الصيد هو فرحتى .

فعندما يقف سائح يتجول ويستند إلى نهر الزمان أو يستنجد بالحكمة الالهية ويخاطب نفسه قائلا : لم كان الإنسان ؟ لم وجد الإنسان؟ الحق أقول لكم : من أى شيء كان يحيا الفلاح والنقاش والطبيب لو لم يخلق الله الإنسان ؟ من أى شيء كان يحيا الخياط ، لو لم يفطر الله الإنسان على الخجل والحياء ، ومن أى شيء كان يحيا الجندى لو لم يزوده بالحاجة إلى قتل نفسه ؟ من أجل هذا لاترتابوا — أجل ، إنه لشيء جميل ورائع ، ولكن كل ما على الأرض شر ، حتى المال يفسد ويزول. وفى الختام ، يا مستمعى الأعزاء ، دعونا نتبول على الصليب ، لكى يموت يهودى .

(يستقيظ فويسك على أصوات الهتاف ويسرع بالانصراف)

حقل فى الخلاء

فويسك : بشدة ! بشدة ! هش ، هاش ، تلك أصوات الكمنجات والصفافير

بشدة ! بشدة ! سكوت ! موسيقى ! مالذى

يتكلم تحت الأرض ؟ (يتمدد على الأرض)
ها ! ماذا ، ماذا تقولون ؟ ارفعوا أصواتكم !
ارفعوا أصواتكم ! اقتل المعزة ! اقتل !
اقتل ! المعزة ! هل ينبغى علىّ ؟ هل يجب
علىّ ؟ هل أسمع الصوت هناك أيضاً ؟ هل
تقولها الريح كذلك ؟ هل أسمعها تقول بشدة ،
بشدة ، اقتل ، اقتل !

حجرة فى القشلاق

ليل . فويسك واندريس فى سرير واحد

فويسك : (هامساً) : اندريس !

اندريس : (يكلم نفسه وهو نائم)

فويسك : (يهز أندريس) : ها ، اندريس ! اندريس !

اندريس : هه ؟ ماذا ؟

فويسك : لا أستطيع أن أنام ! كلما أغلقت عينى ، رأيت كل شىء يلف أمامى وسمعت أصوات الكمان. بشدة بشدة ! ثم أسمع صوتاً يتكلم من الحائط .
ألا تسمع شيئاً ؟

اندريس : نعم — دعهم يرقصون. أنا تعبان. ليحفظنا الله. آمين .

فويسك : الصوت لا يزال يقول : اقتل ! اقتل ! ويندس بين عيني كالسكين ...

اندريس : نم يا مغفل : (يعود للنوم)

فويسك : بشدة ! بشدة !

فناء فى بيت الطبيب

طلبة مع فويسك فى الفناء . الطبيب يطل عليهم من نافذة فى أعلى السطح

الدكتور : سادتى ، أنا أقف على السطح مثل داود ، عندما رأى باتسيبا (*) ولكنى لا أرى غير كيلوتات فرنساوي منشورة فى بنسيون البنات تجففها الشمس فى الحديقة . سادتى ، لقد وصلنا إلى المسألة الهامة عن علاقة الذات بالموضوع . لو أننا أخذنا شيئاً واحداً من بين الأشياء التى ينجلى فيها التأكيد الذاتى العضوى للالوهية على مثل هذا المستوى الرفيع ، وبحثنا عن العلاقات التى تربطها بالمكان ، والأرض ،

* زوجة الحيثى أوريا ، اغراها داود وتزوج منها عقب اغتيال أوريا وبتأثير باتسيبا نصب ابنها سليمان بدلا من الأكبر ادونيا خليفة لداود على العرش . أنظر كتاب الملوك ١٢١ ، العهد القديم . المترجم .

والأفلاك ، سادتى ، لو قذفت بهذه القطة
من النافذة . فكيف يكون سلوك هذا الكائن
بالنسبة لمركز الجاذبية ، سنروم جرافيتا ـ
سيونس ، تبعاً لغريزتها الخاصة بها ؟ هه ،
فويسك (يزعق) فويسك !

فويسك : (يلتقط القطة) : سيدى الدكتور ، القطة
تعض !

الدكتــور : ولد ، انت تمسك الحيوان بحنان كما لو كان
ستك الكبيرة ! (ينزل إلى الفناء) .

فويسك : سيدى الدكتور ، عندى رعشة .

الدكتــور : (بفرح عظيم) : آى ، آى ! عظيم ،
يا فويسك ! عظيم ! (يمسح يديه فى بعضهما
ويتناول القطة) : ماذا أرى ، سادتى ، النوع
الجديد من قمل الأرانب ، نوع جميل ..
(يخرج زجاجة من جيبه ، تفلت القطة منه)
سادتى ، ليست لدى القطة أى غريزة علمية .
نستطيع أن نرى شيئاً آخر . انظروا . هذا
البنى آدم ، من ربع سنة وهو لا يأكل إلا
البسلة ، لاحظوا تأثيرها عليه ، تحسسوا بأنفسكم
النبض الغير منتظم ! النبض والعينين !

فويسك : سيدى الدكتور ، الدنيا تسود فى عينى
(يجلس)

الدكتـــور : تشجع يافويسك . كلها يومين ثم ينتهى كل شىء . تحسسوا ياسادة ، تحسسوا ! (يتحسسون سوالفه ونبضه وصدره) بالمناسبة يافويسك ، حرك أذنيك أمام حضرات السادة ! كان فى نيتى أن أفرجكم عليها ، فعنده عضلتان تتحركان . هيا ! إلى العمل .

فويسك : آخ ياسيدى الدكتور .

الدكتـــور : ياحيوان ، هل على أن أحرك أذنيك بنفسى ، هل تريد أن تتشبه بالقطة ، هكذا ياحضرات السادة ! هذه مرحلة انتقال للحمار ، تكثر فيها كذلك نتيجة التربية الانثوية ولغة الأم . كم شعرة جذبتها أملك من رأسك للذكرى وبدافع الحنان ؟ لقد خف شعرك كثيراً فى الأيام الأخيرة . حضرات السادة ، كل هذا بتأثير البسلة !

ساحة فى القشلاق

فويسك : ألم تسمع شيئاً ؟

اندريس : إنه هناك مع أحد زملائه .

فويسك : قال شيئاً ؟

اندريس : وكيف عرفت ؟ ماذا أقول ؟ طيب . لقد ضحك ، ثم قال : امرأة لذيذة لها أفخاذ دافئة وكل شيء فيها دافيء !

فويسك : (ببرود شديد) هل قال هذا ؟ ماذا رأيت الليلة فى المنام ؟ ألم أحلم بسكين ؟ يالها من أحلام حمقاء !

اندريس : إلى أين ياصاحبي ؟

فويسك : أحضر خمرة لحضرة الضابط . ولكن ، يا أندريس ، كانت مع ذلك فتاة لانظير لها .

اندريس : من ؟

فويسك : لاشيء . إلى اللقاء .. (ينصرف)

ضابط الطبول — فويسك — ناس

ضابط الطبول : أنا رجل (يضرب بيديه على صدره) أنا قلتها كلمة ، رجل ! هل فتح أحد فمه ؟ هل يحب أحد أن يتعرض لى ؟ من لا يشرب شرب الآلهة ، فليبتعد عن سكتى والا حشرت أنفه فى خرمه ! أريد (لفويسك) انت ياجدع ،

اشرب ! نفسى العالم كله يصبح كونياك ، كونياك ؟ الرجل لابد أن يشرب ! (فويسك يصفر) ولد ، هل أشد لسانك من رقبتك والفه حول جثتك ؟ (يتصارعان — فويسك يخسر) هل أكتم على نفسك حتى تصيح مثل فساء العجوز ؟ أعملها ؟ (فويسك يلقى بجسده فى اعياء على إحدى الأرائك وهو يرتعد) كان لازم يشرب طينة ويصفر !! (يغنى) :

الخمرة هى حياتى

الخمرة تدى شجاعة ! (*)

واحـــدة : سمنته فيه !

اخـــرى : دمه ينزف !

فويسك : واحد بعد الثانى

دكان

— فويسك — اليهودى —

فويسك : المسدس غال جداً .

اليهـــودى : هل ستشرب أولا ؟ ماهى الحكاية ؟

---

* الخمر هى حياتى ،
الخمر تمنح الشجاعة !.

فويسك : وثمن السكين ؟

اليهـــودى : السكين مستوية تماما . هل تحب حضرتك أن تقطع بها رقبة حضرتك . هه ؟ ما رأيك . أنا أعطيها لحضرتك بثمن مرتاح ، مثلك مثل غيرك . من حقك أن تموت ميتة مرتاحة ، لكن ليس من حقك أن تموت مجاناً . ما رأيك؟ أنا سأخدمك لتموت ميتة اقتصادية .

فويسك : تقدر تقطع أكثر من العيش ؟

اليهـــودى : قرشين .

فويسك : خذ ! (ينصرف)

اليهـــودى : خذ ! كأن الفلوس تراب ! مع انها فلوس ! أما أنك كلب صحيح !

ـــ حجرة ماريا ـــ

(العبيط راقداً يحكى حكاية على أطراف أصابعه)

على رأسه تاج ذهبى ، الملك العظيم ... فى الصباح أحضر للست الملكة طفلها . سجق الدم يقول : تعال ياسجق الكبد ...

ماريـــا : (تتصفح الكتاب المقدس) : « ولم يخرج الغش من فمه » الهى ، الهى ! لا تنظر إلى

(تقلب فى صفحات الكتاب المقدس) ولكن الفريسيين أحضروا إليه امرأة زانية ووضعوها فى الوسط . أما يسوع فقال : أنت أيضاً لا ألعنك . اذهبي ولا ترتكبي الخطيئة بعد الآن (تعقديديها) الهى ! الهى ! لا أستطيع ! الهى — أعطنى أن أقدر على الصلاة . (يقترب منها الطفل) الطفل يطعننى فى قلبي (للعبيط) كارل ! إنه يتمطع فى الشمس (العبيط يتناول الطفل من يديها ويسكت) فرانز لم يحضر ، لا أمس ، ولا اليوم . الحر يزداد هنا (تغلق النافذة وتواصل القراءة) وركعت عند قدميه وبكت ، وشرعت تبلل قدميه بالدموع وبشعر رأسها تجففهما ، وقبلت قدميه ودهنتهما بالمسك (تضرب صدرها بكفها) كل شيء ميت ! أيها المخلص ! أيها المخلص ! أريد أن أدهن قدميك بالمسك .

— قشلاق —

(اندريس — فويسك يقلب فى حاجاته)

فويسك : اندريس ، الصديرى للتصليح . ربما تحتاج اليه يا اندريس .

اندريس : (فى وجوم ، يوافق على كل مايقول) : نعم.

فويسك : الصليب لاختى والخاتم الصغير .

اندريس : نعم .

فويسك : معى كذلك صورة قديس ، قلبين وذهب جميل . كان فى انجيل أمى مكتوب عليه :

مولاى

يا أيها المخلص الشهيد

اسمح لقلبى أن يكون مثل جسمك الجريح

أمى لاتشعر الآن بأى شىء ، الا اذا لمعت الشمس على يديها – لا بأس .

اندريس : نعم

فويسك : (يبرز ورقة) : فريدريش يوهان فرانز فويسك ، عسكرى نفر ببندقية فى الكتيبة الثانية ، السرية الثانية ، الفصيلة الرابعة ، مولود فى عشرين يوليه ، الموافق بشارة مريم – عمرى اليوم ثلاثين ، وسبعة أشهر واثنى عشر يوما .

اندريس : فرانز ، أحسن لك تدخل المستشفى يامسكين ، لابد أن تشرب كونياك مخلوطاً بمسحوق البارود يقتل الحمى .

فويسك : نعم ، يا اندريس ، عندما يجر النجار الفارة على خشب التابوت ، لايدرى أحد ، من الذى سيسند رأسه عليه .

شارع

(ماريا ومعها بنات صغيرات أمام باب الدار ، بعد فترة يحضر فويسك)

البنات : الشمس تبدو كاللهب

والقمح يزهو كالذهب

فى يوم تتويج المسيح

ذهبــوا للمــرعى

اثنين اثنين .....

الناى أمــامــا

فى الخلف كمنجــه

ما أحــلى الســير

بحــذاء أحمــر !

الطفل الأول : سخيفة !

الطفل الثانى : أنت دائما طماع !

الطفل الأول : غنى لنا أنت !

ماريا : لا أستطيع

الطفل الأول : لماذا ؟

ماريا : لانى لا أعرف

الطفل الأول : ولماذا لاتعرفين ؟

الطفل الثالث : احكى لنا حكاية !

الجدة : تعالوا يابراغيث . كان ياما كان طفل مسكين غلبان ، لا له أب ولا أم ، كان كل شىء ميت ، ولا كان فيه على وجه الأرض انسان. كل شىء كان ميت ، وراح الطفل يبحث ليل مع نهار . ما كان فيه أحد على الأرض ، أحب يطلع للسماء ، والقمر نظر اله نظرة حنان ، ولما وصل القمر وجده قطعة خشب عفنان ، تركه وراح للشمس ، ولما وصل للشمس لقاها عباد شمس دبلان ، ولما راح للنجوم ، لقاها ناموس صغير مذهب ، كانت كمثل الخناق (*) المنور ، ولما أحب يرجع للأرض ، كانت الأرض مينا مهدمة مقلوبة ، وكان وحيد وحيد فى

---

* الخناق ، نوع من الطيور المفترسة يقتل فريسته خنقا .

الدنيا كلها . فقعد على الأرض وبكى ،
وما زال قاعد لليوم ، قاعد وحده يبكى .

فويسك : ماريا !

ماريا : (مفزوعة) هيه ! ؟

فويسك : هيا نذهب . آن الأوان .

ماريا : الى أين ؟

فويسك : وهل أعرف ؟

— طرف الغابة — عند المستنقع —

— ماريا وفويسك —

ماريا : إذن فهناك تقع المدينة . الدنيا عتمة

فويسك : ابقى لحظة . تعالى ، اجلسى !

ماريا : ولكن لابد أن أذهب .

فويسك : لن تجرحى قدميك من المشى ؟

ماريا : ما أغرب حالك !

فويسك : ماريا ، هل تعرفين كم مضى على زواجنا ؟

ماريا : فى عيد الفصح سنتين .

فويسك : وهل تعرفين أيضاً ، كم بقى لنا !

ماريـــا : لابد أن أذهب ، لا حضر العشاء .

فويسك : هل تشعرين بالبرد ، ياماريا ؟ ومع ذلك فانت دافئة . ما أدفأ شفتيك ! دافئة ، أنفاسك دافئة كأنفاس البغايا ! ومع ذلك أتمنى من السماء أن أقبلها مرة واحدة — هل تشعرين بالبرد ؟ حين يكون الإنسان بارداً ، فإنه لا يتأثر بالبرد . لن تبردى من ندى الصباح .

ماريـــا : ماذا تقـــول ؟

فويسك : لاشيء . (صمت)

ماريـــا : ما أشد احمرار القمر وهو يبزغ !

فويسك : مثل حديدة ملطخة بالدم .

ماريـــا : ماذا تريد ؟ فرانز ، وجهك شاحب — (يرفع يده بالسكين) فرانز ، قف ! بحق السماء ، النجدة ! النجدة !

فويسك : (يطعنها) : خذى هذه ، وهذه ! ألا تستطيعين أن تموتى ؟ هكذا هكذا — ها ! مازالت تختلج ، ألم تموتى بعد ؟ ألم تموتى بعد ؟ ما زالت فيك بقية (يوالى طعناته) هل مت الآن ؟ ماتت ! ماتت ! (تسقط السكين من يده وينصرف مسرعاً) .

— الملهى —

فويسك : ارقصوا جميعاً ، بشدة ! بشدة ! بشدة !
تصببوا عرقاً ، لتفح منكم الروائح العفنة !
سوف يأخذكم جميعاً ، فى يوم من الأيام
(يغنى)
يا حبيبتى يا بنتى ،
ناوية على إيه ؟
حبيتى العربجية
وعشقتى السواقين ! (*)
(يرقص) كيته ! اقعدى ! أنا حران ، حران !
(يخلع سترته) هذه حال الدنيا . واحدة يأخذها
عزرائيل والثانية يتركها على رجليها . كيته .
انت دافئة ! لماذا إذا ؟ كيته ، أنت أيضاً
ستصبحين باردة . كونى عاقلة . ألا تستطيعين
أن تغنى ؟

كيته (تغنى) :
الهدمة إن طالت

---

* آه يا ابنتى ، يا حبيبتى يا ابنتى علام نويت ،
حتى تعشقى الحوذيين وتميلى للسائقين

أنا مالبسنهاشى
وبــلاد شفابن
أنا ما أروحهاشى
والجزمة المودة
أنا ما أقبلهاشى
دى حاجات ماتليقش
للخدامين ! (*)

فويسك : لأ ! من غير حذاء ، الإنسان يقدر يروح جهنم حافياً !

كيته (تغنى) :

يا حبيبي ده عيب
ما يصحش منــك
لأ خلّى فلوسك
ونام لوحدك ! (**)

فويسك : نعم ، صحيح ، لا أريد أن أوسخ نفسى بالدم

كيتــه : لكن ماهذه البقع على يدك ؟ !

فويسك : أنا ؟ أنا ؟

---

* لا احب ان اذهب الى بلاد شفابن ولا ان ارتدى الملابس الطــويلة لان الملابس الطويلة والاحذية المدببة لا تليق بالخادمات .

** آه يا حبيبى ، ما كان هذا يصح منك احتفظ بنقودك ، ونم وحدك !

كيتـــه : أحمـــر ! دم ! (يتجمع الناس حولها)

فويسك : دم ؟ دم ؟

صاحب الملهى : آخ ! دم .

فويسك : يظهر انني قطعت اصبعي ، هنا فى اليد اليمنى .

صاحب الملهى : ولكن كيف وصل الدم إلى كوعك ؟

فويسك : كنت أمسحه من عليها .

صاحب الملهى : ماذا ؟ تمسح كوعك الأيمن بيدك اليمنى ؟ أما شاطر !

العبيط : عند ذلك قال العملاق : .أنا أشم ، أنا أشم رائحة لحم بشر . أف ! الرائحة فاحت !

فويسك : ياجن ! ياأبالسة ! اللعنة عليكم ! ماذا تريدون ؟ ماذا يهمكم أنتم ؟ أفسحوا الطريق والافان أول واحد فيكم . . اللعنة عليكم ! هل تقصدون أن تتهمونى بالقتل ؟ هل أنا قاتل ؟ لماذا تبحلقون فى ؟ انظروا إلى أنفسكم ؟ أفسحوا المكان ! (يفر) .

— عند المستنقع —

(فويسك وحده)

السكين ؟ أين السكين ؟ تركتها هنا . سوف

تفضحني ! اقترب ! اقترب ! أي مكان هذا؟
ماذا أسمع ؟ شيء يتحرك . في هذه الناحية .
ماريا ؟ ها ، ماريا ! سكون ! كل شيء ساكن !
ماهذا الشحوب على وجهك ؟ ماريا ! ما هذا
الرباط الأحمر حول رقبتك ! من الذي أخذت
منه العقد ثمناً لخطاياك ؟ أسود وجهك منها ،
أسود وجهك ! هل أنا السبب في هذا
الشحوب ؟ لماذا تناثر شعرك ؟ ألم تضفري
خصلاتك اليوم ؟ السكين ، السكين ! هل
عثرت عليها ؟ هاهي ! (يتجه إلى الماء)
هكذا ، اسقطي في القاع ! (يلقي بالسكين في
الماء) إنها تغوص كالحجر في الماء العكر .
(يغوص في المستنقع ويقذف السكين بعيداً)
هكذا . الآن . ولكن في الصيف حين
يغطسون بحثاً عن القواقع ؟ آه ، سوف تصدأ.
وأين من يستطيع التعرف عليها ؟ لو كنت
كسرتها ! هل مازال الدم علي ؟ لابد أن
أغتسل . هذه بقعة ، وهذه بقعة أخرى .
(تأتي جماعة من الناس) .

الأول : قف عندك !

الثـــانى : هل تسمع ؟ سكوت ! هناك !

الأول : آه هناك ! ما هذا الصوت ؟

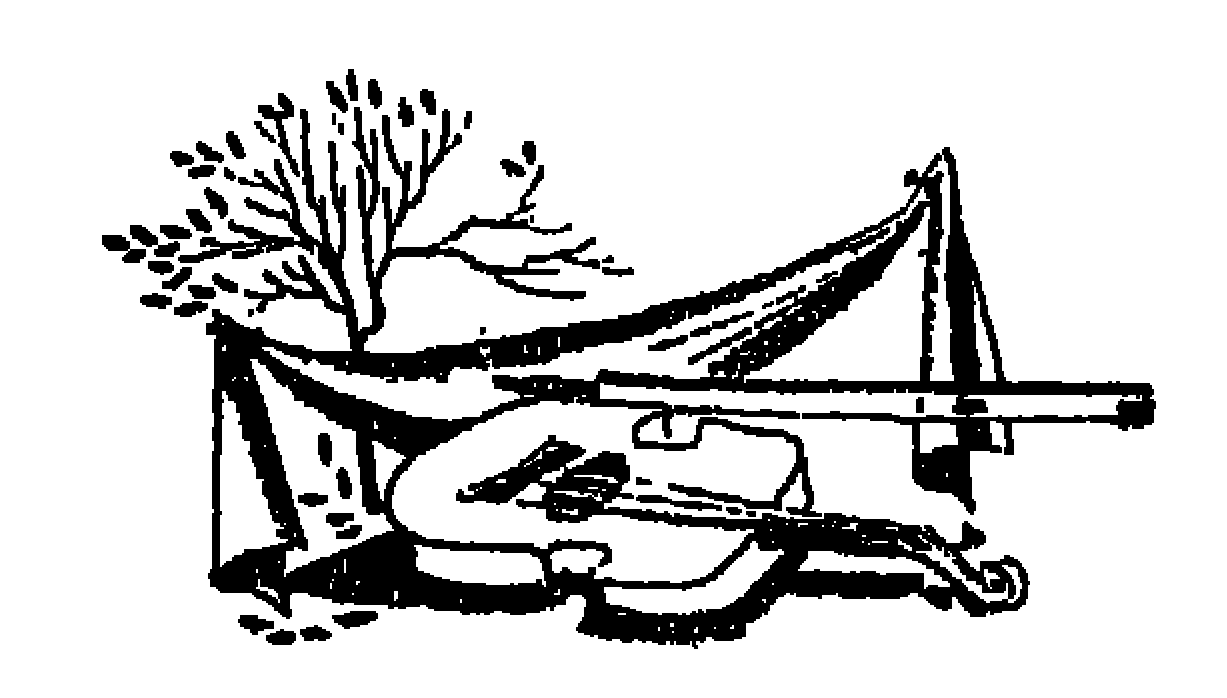
الثانى : هو صوت الماء ، إنه ينادى : من مدة طويلة لم يغرق أحد . فلنذهب ! خير لنا ألا نسمعه .

الأول : آه ! عاد الصوت ! كما لو كان صوت إنسان يموت !

الثانى : فظيع ! قاتم ، معتم بلون الضباب ، وازيز الخنافس مثل صوت الأجراس المحطمة . لنهرب بأنفسنا ...

الأول : لا ، انه صوت واضح مرتفع ! هناك : تعال معى ! ....

(ينصرفان)



الفهرس

صفحة


الدار القومية للطباعة والنشر

اقرأ فى هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

اسكيلوس
سوفوكليس
يوربيديس
ارسطوفانيس
شكسبير
مارلو
موليير
راسين
تريدان

إبسن
برنارد شو
ت. س. اليوت
تشيكوف
لويچى برندللو
يوچين اونيل
وايلدر
چان پول سارتر
برخت

دورنمات
چان انوى
البير كامى
تنسى وليامز
آرثر ميلار
چون اسبورن
براندن بيهان
اوكيسى
جايلز كوبر

وكثيرون غيرهم .

العدد القادم : قطة على نار تنسى وليامز

العدد ١٠ الثمن ٥



الدار القومية للطباعة والنشر



المؤلف ...

جورج بشنر كاتب وثائر وطبيب ، عبر عن صرخة الخليقة المعذبة ضد عبث الوجود وفنائه ، هذه الصرخة لا نزال نسمع صداها في الأدب العالمي حتى اليوم

ولد عام ١٨١٣ في مقاطعة هيسن بألمانيا ، ودرس الطب في ستراسبورج وتلقى الأفكار الثورية وتمرد على الطغيان والظلم الاقطاعي . وفي جيسن شارك في الثورة فألف بيانا عام ١٨٣٤ يحرض فيه الفلاحين على التخلص من مستغليهم ، وفر الى بيت أبيه هربا من القبض عليه . وهناك كتب مسرحيته الوحيدة التي أتمها وهي ((موت دانتون)) بطل الثورة الفرنسية المشهور ، وفيها يعبر عن فزعه من جبرية التاريخ ومأساة البطولة .

وتابع الكتابة كالمحموم فألف مسرحيته الشعبية ((فويتسك)) وقد استمد موضوعها من حادثة حقيقية وقعت لجندي بسيط قتل زوجته لخيانتها له . وتسود المسرحية روح الانهيار السكوني ، والفزع من ظلام العدم والقلق أمام المجهول .

كما كتب مسرحيته الأخرى التي ظلت كذلك شذرة لم تتم
الباكية ((ليونس ولينا)) ، ويغلفها جو صاف من المرح الحزين
المريرة في محاولة للتعبير عن انتصار الحب على الملل القاتل
والتسلط من الفناء . وقد ظهرت المسرحيتان بعد موته
بالتيفوس ولم يكد يتم أربعة وعشرين عاما من عمره . وتولى
شقيقه لودفيج عام ١٨٥٠ .

المترجم ...

انظر غلاف ((الاستثناء والقاعدة ...)) لبرشت العدد ٣
((مسرحيات عالمية))

